روايات عبير
كاي ثورب
بَينَ السّكونِ والعَاصِفة
REWITY
١٨

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 18

بين السكون والعاصفة

وجدت ليان نفسها في بوينس آيرس بلا مال ولا صديق ووقعت في ورطة لم ينقذها منها سوى ريكاردو مندوزا . فاعتبرت أنها مدينة له بانقاذها . وأوضح لها ريكاردو أن بامكانها رد الدين والحصول على عشرة آلاف جنيه بالاضافة الى ذلك . لكن الشرط الذي وضعه ريكاردو مندوزا يقضي بأن تتزوجه ليان زواجا صوريا لمدة ستة أشهر كي ينتزع الارث من أخيه غير الشقيق...

وعندما وافقت مرغمة وجدت نفسها أمام عالم عنيف لم تشهد مثله من قبل . فهل تبقى في تلك المزرعة أم تفر مع أول منقذ يعرض عليها الفرار ؟

لبنان [illegible]	الكويت ٧٠٠ ف	اليمن ٨ ر	السودان ٧٠٠ م
سورية ٨ ل.س	الامارات ٩ د	تونس ١ د	U.K. £ 1
الأردن ٥٠٠ ف	البحرين ٩٠٠ ف	ليبيا ٧٠٠ د	France F 10
العراق ٥٠٠ ف	قطر ٩ ر	المغرب ٨ د	Greece Drs 120
السعودية ٨ ر	عمان ٩٠٠ ب	مصر ٧٠٠ م	Cyprus P 1

امرأة بلا مخالب

١ ـ ماذا يريد ريكاردو ؟

الأرجنتيني كان يتحدث بالأسبانية ... قصده تجاوز جهلها اللغة . وفهمت قصده فدفعت بيدها الشراب الذي لم تمسه بعيدا عنها وهزت رأسها وهي تنهض وتشير قدامها بيديها في رباطة جأش مفاجئة. وقالت له:

كلا ...

ونهض هو الآخر وعلى وجهه معالم الحيرة لا الغضب. وراح يتساءل في صوت مرتفع عن سبب تصرفها. وأخذت الأنظار تتجه نحوها من الموائد المجاورة . وقد تركز الاهتمام حول تلك الفتاة الانكليزية الشابة النحيلة القوام ذات الشعر الرملي المصفف على شكل ناقوس. واستلفتت نظر رجل يجلس أمام مائدة مجاورة أخذ يرمقها بسخرية. كانت تعرف في وضوح ما الذي يفكر فيه... تماماً كما يفكر الرجل الجالس في مواجهتها على الطرف الآخر من المائدة... آه ما أشد غباتها لم تدرك أي مكان كان ذاك وأي شيء كان يرجي منها، فهي ليست في موطنها الآمن بل غريبة في بونيوس ايرس: مدينة أجنبية في أرض أجنبية. ولم تشعر ليان بوحشة عارمة كما أحست في تلك اللحظة.

وراح الأرجنتيني يستحثها لتعود الى مكانها وقد خفض من صوته في حين انطلقت ليان تبحث عن كلمات تبلغه بها بأنه مخطىء، ولكنها لم تعثر على شيء منها يناسب مقتضى الحال. تراءى لها ـ وهي على حافة الجنون ـ أن كتب التعبير اللغوي لم تتسع لمثل هذه المواقف.

وتصورت أن في استطاعتها أن تستدير ببساطة وتبتعد عنه، ولكنها شكت في

أن يكون الأمر بمثل هذه السهولة. واجتذبتها مرة أخرى حلقة الرجل الجالس على
المائدة المجاورة. وتنفست في عمق وبطء قبل أن تسأله:

«هل تتحدث الانكليزية؟»

فرفع أحد حاجبيه السوداوين وأجابها بلغة انكليزية ممتازة ولكن بنبرة ضاغطة
على الكلمات لتأكيدها:

«نعم... هل تريدين مني أن أترجم لك؟»

فهزت رأسها وهي تتمنى أن تكون في أي مكان آخر غير هذا المكان. وقالت
له:

«سأكون شاكرة لك اذا اوضحت له أنني لست في متناول يده بالصورة التي
يظنها، فهناك خطأ في الأمر»

فسألها وقد ازداد حاجبه ارتفاعاً:

«إنك تعملين في هذا الملهى... أليس كذلك؟»

فقالت وهي في شدة الحرج والارتباك:

«نعم، ولكن ليس في هذا المجال... أرجوك ياسنيور...»

وتركت بقية العبارة تخفت وتتلاشى واضعة في اعتبارها أن غالبية الجالسين
على الموائد المجاورة تلتفت اليها. وغاص قلبها في صدرها وهي ترى صاحب
الملهى يتجه نحوها وسط الصالة المزدحمة التي يملأها الدخان، وقد اجتذبته
بلاشك تلك الجلبة الخافتة. انه الرجل اللاتيني البدين الأصلع، الذي تشعر نحوه
بالامتنان الشديد لأنه منحها عملاً، فلماذا تراه الآن في تلك الصورة المختلفة؟

عرفت طبعاً الاجابة على هذا السؤال. اذ كان الرجل يعرف السبب الذي من
أجله ألحقها بهذا العمل، وان كانت هي نفسها لم تدرك هذا السبب من قبل.

كان يرى من المسَلّم به مع كل الاحتمالات أنه لااعتراض لديها على أن توسع
من نطاق عملها كمضيفة ليشمل كل نواحي الترفيه عن الزبائن... سذاجتها
المضحكة هي التي وضعتها في هذا الموقف.

وهز الرجل الجالس على المائدة المجاورة كتفيه استهجاناً وكأنه استجاب

لرجائها بدون أن يصدقها. وتحدث الى جليسها بالأسبانية وبسرعة وطلاقة حتى
أنها لم تستطع أن تلتقط سوى كلمة هنا وهناك. وأنهى كلامه في اللحظة عندما
وصل صاحب الملهى ، وترك جليسها ينظر في عدم ارتياح ، مدركاً أن بعضاً من
سوء الفهم قد حدث ، واتجه الى صاحب الملهى يتحدث اليه في ألفة وتودد ،
وتحول في ثوان الى رجل وديع يتذلل ويقول:

«المعذرة ياسنيور مندوزا .»

وتجاهل صاحب الملهى الرجل الجالس على الطرف المقابل من المائدة وجذب
ليان من ذراعها ليرغمها بالقوة على الجلوس الى مائدة الرجل الآخر، وهو
ينطق بالمزيد من عبارات الأسف والاعتذار، وتركها حيث هي ثم اتجه الى
جليسها السابق وطرده.

والتقت عينا ليان اللتان أصابهما شيء من الانبهار بالعينين السوداوين
اللتين أخذتا تنظران اليها بازدراء غير مستتر. ولم يكن وجهه مما يعيد الطمأنينة
الى نفسها وله قسمات مشدودة ومتوترة ولونه زيتوني غريب، يعلوه رأس متحجر
مثلي ، وله شعر أسود فاحم، يرتدي سترة بيضاء على كتفين عريضتين. ومن المؤكد
أن القميص تحتها من الحرير الطبيعي. كان رجلا طويلا نحيلا يتمتع بالقوة أو
النفوذ لقد أدخل الخوف الى نفسها لبعض الوقت. وخرجت عن صمتها قائلة:

«انني لا أعرف بالضبط ماذا قلت له، ومع ذلك فانني أشكرك لانقاذي.

وبتحاند بسيطة من رأسه تنم عن سخرية قال لها:

«اذا كان مظهر الرجل لم يعجبك فلم قبلت صحبته من البداية؟»

فقطب جبينها في ضيق وقالت:

«كان يبدو لطيفاً. وهذا هو عملي أو كذلك ظننت.

وفي لهجة تتسم بالشك، لم تستطع ليان أن تلومه عليها، قال لها:

«هل أفهم انك تحاولين القول بأنك لم تكوني على علم بمتطلبات عملك هنا؟ ربما
تكونين جئت حديثاً الى الأرجنتين؟»

ونظرت اليه نظرة تنم عن الصراحة والسذاجة وقالت:

«حقا... يمكنني القول بأنه لاعذر للغباء، ولكنني اعتقدت في الحقيقة أن هذا العمل يتطلب بمجرد الجلوس مع الزبائن واظهار المودة نحوهم. فتلك هي متطلبات مثل هذا العمل في البلد الذي جئت منه.

وبدون أن يطرأ تغير يذكر على تعبيرات وجهه سألها:

«وهل سبق لك القيام بمثل هذا العمل في وطنك؟»

فأجابته :

«قمت به مرة، الا أن الملهى حيث عملت كانت له تعليمات صارمة تحظر مخالطة المضيفات للزبائن خارج نطاق الملهى وملحقاته.»

وابتسم ابتسامة باهتة ظهرت معها للحظة أسنانه البيضاء وقال :

«وهنا أيضا يطبقون النظام نفسه. فهناك في الطابق العلوي غرف خاصة لأداء الغرض المطلوب.»

وأمسكت خديها الدافئين بيديها وهي غير قادرة على مواجهة نظرته المتفحصة الساخرة وصاحت قائلة:

«يا ربي... كان يجب عليّ أن أدرك أن هذا العمل عرض ممتاز جدا لدرجة تثير الشك في حقيقته، فالحصول على عمل مع مأوى يبدو وكأنه منّة من السماء وا في الواقع...»

وأطرقت برأسها عندما جال بذهنها خاطر معين، ورفعت رأسها وهي تنظر اليه وتقول في تردد:

«هل لي أن أسألك عما قلته لهذين السيدين؟»

وظهرت روح المرح عليه وان كانت ممزوجة بقدر من الازدراء، وأجابها بقوله:

«بكل تأكيد... أبلغتهما أنني اشتريت وقتك لهذه الليلة.»

وسألته وقد أصابتها صدمة وهي لاتكاد تصدق:

«ماذا فعلت؟ لايمكن أن تكون قد فعلت هذا!»

فرد عليها قائلا:

«كانت تلك هي الطريقة الوحيدة لتجنب المتاعب، فان ريوس لن يغتبط اذا

رفضت مجالسة أحد الزبائن بلا سبب وسوف يطالب غداً بنصيبه من الأجر الذي ستحصلين عليه الليلة.»

ورفعت ليان شفتها وبدت كالمستجير من الرمضاء بالنار، ولم تكن تدري بالضبط كيف يمكنها التصرف في هذا الموقف. وقالت أخيرا:

«لن أكون هنا غدا. بل سأرحل الآن وفي الحال.»

وبينما دفعت بكرسيها الى الوراء، استرخى هو على كرسيه في هدوء وقال لها:

«كلا... لن تفعلي، وسوف تلزمين مقعدك حتى أسمح لك بالانصراف. الا اذا كنت تفضلين أن أستدعي ريوس من جديد ليقنعك؟»

وراقبها وهي تتراجع وتستقر في مقعدها وقال لها:

«حسناً... انك تظهرين فطنة الآن»

فردت عليه ليان في جرأة:

«مستر متوزا... أعرف أنني كنت غبية من جميع النواحي ولكنك لن تستطيع بأي حال من الأحوال أن تحملني على قضاء مزيد من الوقت معك رغما عني. ان أحدا لايستطيع منعي من مغادرة هذا المكان!»

وبدون أن يتأثر بثورتها سألها قائلا:

«هل تظنين ذلك ؟ مازال أمامك الكثير لتعرفيه عن أساليب رجال من نوع ريوس... انه يعطيك مرتباً وينتظر منك عائداً مناسباً، واذا حرم من ذلك ربما يجد وسائل أخرى للحصول على الربح. هل سمعت عن تجارة الرقيق الأبيض؟»

وصدر منها صوت احتجاج ممزوج بالسخرية وقالت له:

«انك تحاول أن تبث الفزع في نفسي!»

فرد عليها قائلا :

«ربما أحاول قليلا فأنك تستحقين التخويف. ولكن سوق الرقيق الأبيض موجود رغم ذلك. وفتاة انكليزية في لون بشرتك ومظهرك سوف تحقق كسباً هائلا.»

ثم سألها وهو يرمقها بنظرة مجردة من الشفقة:

«هل مازلت ترغبين في الرحيل؟»

وهزت ليان رأسها وهي لاتريد أن تصدقه، وتجرؤ على عدم تصديقه وراحت تستعطفه في صوت خفيض :

«أرجوك، انا لست من ذلك النوع الذي تفكر فيه. كنت تائهة وبائسة عندما قبلت هذا العمل. ولم يكن أمامي ما أفعله غير هذا.»

وأخرج علبه سكائر ذهبية أخذ منها سيكارا رفيعاً ووضعه بين شفتيه ثم أشعل القداحة وأخذ الدخان يتصاعد بينهما لبعض الوقت، ثم قال:

«عليك اذن أن تروي لي القصة كلها. متى جئت الى بونيوس أيرس لأول مرة؟»

فأجابته :

«جئت أمس .»

ولاحظت دهشته فأسرعت تكمل كلامها:

«كان مفروضا أن ألحق بفرقة الرقص وهي تؤدي عرضها في ملهى ريوس وعندما وصلت الى هنا كانت الفرقة قد رحلت لتوها الى بورتو أليغري. لقد أخطأت الوكالة في تحديد موعد السفر»

فسألها قائلا :

«ألم يكن في مقدورك اللحاق بها في بورتو؟»

فأجابته :

«لم يكن لدي مايكفي من المال لتحمّل نفقات الرحلة كما أنني لم أتمكن بعد من الاتصال تليفونياً بالوكالة في لندن.»

وكان من الصعب معرفة رد الفعل لدى مندوزا التي سألها:

«وهل ذهبت الى قنصلية بلدك؟»

فقالت :

«حاولت ذلك اليوم ولكنها مغلقة بسبب عطلة نهاية الأسبوع ولا يتوافر معي المال لأقضي ولو ليلة واحدة في أي فندق، ولهذا فأن ريوس عندما عرض علي أن أعمل كمضيفة هنا في الملهى مع منحي غرفة سارعت بقبول العرض. ولكن كان يجب عليّ، كما قلت أن أعرف المزيد عن هذا العمل.»

فقال لها وهو يتفحصها بنظرة غريبة:

«نعم كان يجب عليك أن تعرفي. اذاً فأنت راقصة... هل أنت راقصة ممتازة؟»

فأجابته :

«أتمنى أن اكون كذلك. أنني على مستوى جيّد أتاح لي في ايّ حال الفرصة للمجيء، الى أمريكا الجنوبية.»

فابتسم ابتسامة ساخرة وسألها:

«وهل كل زميلات فرقتك ذوات شعر أشقر؟»

فقالت :

«نعم أعتقد ذلك.»

فقال :

«اذاً فالرقص ليست له سوى أهمية بسيطة.»

وسألته عما يقصده فأجابها بقوله :

«ان ما أريد الوصول اليه هو أن مواطني بلدي سوف يجتذبهم المنظر وحده بغض النظر عن مستوى الموهبة، ويدفعون الثمن تبعاً لذلك. فاللون الأشقر الطبيعي نادر في هذا الجزء من العالم.»

فلمعت عينا ليان وهي تقول له:

«انا راقصة محترفة ياسنيور.»

فقال :

«لا أشك في هذا. ولكنني لا أعتقد في امكانك الرقص مع أي فرقة ذائعة الصيت. شاهدت فرقة بلوبيل غيرلز في ريودي جانيرو منذ فترة وأعضاء تلك الفرقة يتمتعن بالجمال والموهبة. ولكنك لم تدعين للانضمام اليهن.»

فأجابته :

«انا لست هيفاء القوام بالدرجة التي تجعلني صالحة للانضمام الى فرقة بلوبيل غيرلز»

وتركته يحدق فيها بعض الوقت ثم قالت فجأة:

«لكنني في اي حال لست عضوا في تلك الفرقة... وليست غلطتي أن الوكالة أرسلتني الى المكان الخطأ.»

فصحح لها كلامها قائلا :

«المكان المناسب في الوقت غير المناسب. وهل كان عليك ان تحلّي مكان شخص آخر؟»

فقالت :

«نعم كان لابّد أن تعود احدى الراقصات الى الوطن بعدما سقطت سقطة شديدة، وستكون الفرقة ناقصة الآن. ولكن هذا لايهم في ضوء ماقلته لي ، أليس كذلك؟»

فرد عليها قائلا:

«لاتخاطبيني بهذه اللهجة. الحقيقة مؤلمة، ولكن لاداعي للسخرية انك لست الآن في وطنك انكلترا.»

وكتمت ليان الردّ الحاد الذي تفز الى شفتيها. فقد كان على حق ، ولم تكن هي كذلك. وهي في تلك اللحظة بالذات ليست في وضع يسمح لها أن تضايقه لأكثر من هذا ولم يكن الاعتذار ليفيد كذلك ، فلزمت الصمت وقد بدا عليها الامتعاض.

وقال لها:

«لك قدرة على التعلّم بسرعة، وتلك دلالة لابأس بها.»

وأطرق هنيهة قبل أن يسألها في نبرة مختلفة:

«ألم تعترض أسرتك على سفرك وحدك الى هذا المكان البعيد؟»

فأجابته:

«ليس لي أسرة، نشأت في دار للأيتام.»

واكتسب صوتها حزماً وهي تقول:

«انا الآن في الثانية والعشرين من عمري وأستطيع السفر وحدي وقد فعلت ذلك غير مرّة.»

فقال لها:

«ولكنك لم تسافري الى مكان بعيد كهذا من قبل. وعندما تبلغين من العمر مابلغته بعد عشر سنوات او احدى عشرة سنة قد تدركين أن الاستقلال لايحقق للأنثى سوى القليل.»

فردت عليه قائلة:

«خلال عشر سنوات او احدى عشرة سنة سأكون قد تخطيت الفترة التي يمكنني فيها أن أعبأ بهذا.»

ودارت ببصرها في أرجاء الصالة ذات الضوء الخافت والمزدحمة بالموائد المتقاربة والمزينة بالديكور المبهرج.

وأخذت الموسيقى تصدح بالألحان اللاتينية الأمريكية ليرقص على أنغامها الزبائن الذين اكتظت بهم منصة الرقص.

وكان صوت الموسيقى يكاد يعلو على أصوات الزبائن ورأت زميلاتها المضيفات يجالسن الزبائن على الموائد المنتشرة هنا وهناك.

وسألها قائلا :

«هل اقتنعت بما قلته لك؟»

فأجابت وهي تنظر اليه:

«اقتنعت جزئياً ومازلت أعتقد أن في امكاني الخروج من هنا في أمان اذا قررت.»

فهز كتفيه استخفافا وسألها:

«وماذا فعلت الى أين تذهبين ؟ فأنت باعترافك ليس لديك المال الكافي وأسعار الفنادق باهظة.»

فقالت :

«ان لدي مايكفيني الليلة وربما لليلة القادمة أيضا اذا ماعثرت على فندق رخيص قليلا. فلا بّد أن تكون هناك فنادق رخيصة.»

فرد عليها في ضيق:

«هناك الكثير منها ولكنها لاتصلح لأية امرأة تفتقر الى الحماية، ان المشكلة سوف تجد الحل في الوقت الملائم. وحتى يحين هذا الوقت يشرّفني أن تظهري بمظهر من

يستمتع بصحبتي.»

وألقى ببقايا السيكار في المطفأة وقال لها:

«تعالي نرقص قبل أن أطلب الشراب.»

ولم تتحرك ليان وقالت له وهي على حافة اليأس:

«سنيور مندوزا، يبدو أنني لم أستطع أن أوضح لك أنني غير مستعدة لقبول حمايتك على أساس تلك الشروط ، كما أنني غير مستعدة للبقاء هنا والعمل لحساب رَيوس. انا ذاهبة الآن أحزم أمتعتي وأرحل، واذا ماحاول أي شخص منعي سأستدعي البوليس.»

«من الافضل اذاً ان تفعلي ذلك الآن لأنني سوف امنعك.»

وانتظر رد فعلها ولكنها لم تترك مقعدها فقال لها:

«انك من الحكمة بحيث لاتتحدينني . سنرقص معا كما قلت لك.»

وكانت قامته أطول مما كانت تظن . وأحست وهو يراقصها بقوته وخشونة يده مما أدهشها لأن هذا الرجل اعتاد أن يكون في مركز الامر الناهي لا أن يقوم بعمل يدوي. وسألها عن اسمها فقالت:

«ليان ...ليان تريفور.»

فنطق بالاسم بصوت ينم عن الرضا والقبول وقال لها:

«انه اسم غير عادي بالنسبة الى فتاة انكليزية ولكنه جذاب، انا ريكاردو مندوزا.»

فردت عليه بالتحية وأحست بارتعاشة خطيرة في صوتها فتخلت عن أي تظاهر بالمرح وقالت له:

«أرجوك... هل لنا أن نوقف هذه اللعبة ؟سوف أرحب بمساعدتك لي ياسنيور مندوزا ولكن ليس...»

وعندما ترددت أكمل هو كلامها قائلاً:

«ولكن ليس مقابل الثمن الذي أنت متأكدة أنني سأطلبه. هل دار بخاطرك أنني قد لا أجد في جوانب سحرك الانكليزي شيئاً لايقاوم مثلما فعل جليسك السابق؟

التي أفضل أمرأة دافئة ومتجاوبة، وليست باردة كالثلج.»

وسألته بجفاء عفوي:

«ولماذا احتفظت اذاً برفقتي؟»

فأجاب :

«كانت تلك الوسيلة الوحيدة التي تتيح لي أن أساعدك. ولقد بادرت أنت بطلب المساعدة. وبتحك اياها جعلت من نفسي مسؤولاً عنك... وانا لم أبد في أي وقت أية رغبة في قضاء الليل معك، هذا من نسج خيالك. وربما تلقيت درساً أنت في تلمس الحاجة اليه اذا، أرغمتك على أداء المهام التي أنا مؤهل لها. وسوف يرحب رَيوس كثيرا بتوفير المكان لي.»

فقالت بصوت خفيض:

«انني آسفة... لقد أسأت الفهم.»

ومضى يقول لها:

«نعم، هذا مافعلته، ولكن لاتكرري ذلك. قلت انك ترحبين بمساعدتي لك وسوف تنالين هذه المساعدة ولكن بشرط أن تفعلي ماأطلبه منك بالضبط فهل توافقين على ذلك؟»

وكانت الشكوك مازالت تراودها الا أنها كانت مضطرة لأن تثق به، فلا خيار أمامها.

وأجابته بقولها:

«نعم... ماذا تقترح؟»

فرد عليها قائلاً:

«ليس بعد .»

وفي تلك اللحظة تغيّر الايقاع الموسيقي فقال لها:

«تستجيبين استجابة جيدة لموسيقانا، فهل تشعرين أنها تحرك وتراً في داخلك.»

فقالت :

«أظن ذلك. ايقاع يجعلك ترغب في التوافق الحركي معه. إنك ترقص بمهارة

ياسنيور.»

وأحنى رأسه قليلا رداً على هذه المجاملة ولكنه قال لها:

«هذه الكلمة سنيور أصلها لاتيني وعليك أن تناديني ريكاردو.»

كانت تفضل أن تتمسك بكلمة سنيور التي تبدو أكثر أماناً الى حدّ ما ولكنها وضعت نفسها بين يديه سواء من أجل الأحسن أو الأسوأ. وقالت وهي تتمنى ألا يفضح صوتها خوفها وارتعاشها:

«حسناً ياريكاردو.»

وسألها :

«لو عرض عليك الاختيار بين العودة الى وطنك واللحاق بزملائك الفنانين فأيهما تختارين؟»

فأجابت :

«أشك اذا كان هناك مجال للاختيار فلقد وقعت عقداً لاتمام الأسابيع الست المتبقية من جولة الفرقة. ولايحتمل أن يزودوني بأجر أحد المساكن هنا، لأنه ما من مسكن منها يوافقني.»

وتنهدت قليلا ثم أضافت:

«وفي أي حال ليس هناك عمل يجعلني أعود الى الوراء ، والسبب الوحيد الذي جعلني أقبل العمل في لندن كمضيفة أنني لم أستطع أن أجد عملا آخر اكسب عيشي منه. فأنا لا أعرف الضرب على الآلة الكاتبة أو مسك الدفاتر أو أي شيء من هذا القبيل.»

وسألها:

«ألم تتح لك دار الأيتام وسيلة لكسب العيش بطريقة أكثر استقامة؟»

فأجابت :

«جرت محاولة في ذلك. كانت لي معرفة بالطهي فالتحقت بعمل في مطعم أحد الفنادق قرب منزلي عندما كنت في السادسة عشرة، وكان المفروض أن أتعلم كل

مايتعلق بتقديم الطعام، ولكن كل مافعلته هو تنظيم المطبخ ونقل الطعام الزبائن. وتركت المطعم عندما بلغت الثامنة عشرة. وعملت لدى احدي الأسر في كرويدون حتى اجد لي مخرجاً...»

وتوقفت عن الحديث وقد انتابها الارتباك فجأة، وقالت:

«آسفة.. ربما لاتريد سماع كل قصة حياتي.»

وأجابها وهو يرمقها بنظرة غامضة:

«بالعكس فهذا ما أريده بالضبط هل كنت تعيسة في تلك الدار وأنت طفلة؟»

فأجابت :

«كلا. كان بيتاً ممتازاً. ولم يفتقر أي منا للعطف بل أتيح لي هناك أن أتلقى دروساً في الرقص.»

فقال لها:

«ولكن ليس بهدف أن تعملي في هذا المجال.»

فقالت ليان وهي تضحك:

«كلا وأذكر مرة أنني عندما كنت في الخامسة عشرة استفسرت اذا كان في استطاعتي التقدم لأداء دور في المسرح الايمائي المحلي، فقد كان من عادة هذا المسرح تشغيل أطفال البلدة ضمن الكورس كمنشدين. وقد أصيبت المشرفة على الدار بالرعب لمجرد التفكير في أن واحدة من أطفالها تفكر بالعمل في مسرح المحترفين.»

فسألها:

«ولكن ألم يسمح لك باستخدام موهبتك من وقت لآخر»

فأجابت :

«نعم بالتأكيد. كنت نجمة فرقتنا الموسيقية. وألوم المشرفة على الدار بسبب أفكارها اذ كانت مهمتها الحاق الخاضعين لرعايتها بأعمال محترمة تدر دخلا مضموناً. وكل ما في الأمر أنني لم أتحمل التفكير في قضاء أفضل سنوات عمري في أعمال جادة مملة.»

فقال لها ريكاردو في مرح :

«كان يمكنك أن تجدي زوجاً يخرجك من هذا الوضع أم أنك تعتبرين الزواج أيضاً على الدرجة نفسها من الملل والجدية؟»

فأجابته قائلة:

«لاأعرف. انني أفترض أن هذا انما يعتمد على نوع الرجل الذي أتزوجه.»

وسألها :

«ألم تفكري أبدا في الزواج؟»

فأجابته :

«فكرت فيه. وأتصوّر أن كل الفتيات يفكرن في الزواج في مرحلة من مراحل العمر.»

وضحكت وهي تقول :

«عندما كنت طفلة في الرابعة عشرة فكرت في روعة الزواج من رجل مثل النجم السينمائي جين كيلي ، غير أنني كنت صغيرة بطبيعة الحال، وفي التاسعة عشرة قررت أن أعطي الأولوية دائما لعملي. وكنت قد احترفت الرقص قبل اتخاذ هذا القرار بأسبوع. ولم أتراجع عن قراري هذا حتى عندما أصبحت فرص العمل متوفرة لي. وكان هذا جميلا حقاً.»

وسألها:

«لابد أن يكون هناك رجال رغبوا في مصاحبتك ولاشك أنك لم ترفضي كلّ اتصال بهم، أليس كذلك؟»

فأجابت :

«كان لي أصحاب. ولكن أحدا منهم لم يكن جاداً في صحبته.»

وسألها في اصرار غامض سبّب لها ضيقا:

«أليس هناك من ينتظر الاستماع اليك عند عودتك الى لندن؟»

فأجابت في تردد:

«لا ياسنيور ...»

فصحح لها الكلام بقوله:

«ريكاردو»

فقالت :

«ريكاردو اذاً »

ورفعت وجهها تنظر الى وجهه، واعتراها احساس غريب بالاضطراب وسألته:

«لماذا تسألني كل هذه الأسئلة؟ ليس ثمة ما يهمك فيما أشعر به أو افكر فيه...»

وارتفع حاجباه السوداوان في عجرفة وقال لها:

«أنا الذي أقرر ما الذي يهمني. أتريدين الجلوس الآن لتناول مشروب؟»

فهزت ليان برأسها وهي تقاوم الرغبة في الفرار من هذا الرجل، وكانت أمامها فرصة لتفعل ذلك. وسألته وهي تتظاهر بالحزم بينما هي أبعد ماتكون عن الشعور به:

«هل لي أن أعرف ما الذي تنوي أن تفعله؟ اذا كنت تعرف ريتوس معرفة جيدة فربما تكفي كلمة منك لاقناعه بخطأه.»

فقال لها في قبول :

«سوف أتحدث مع ريتوس. وان كنت لا تريدين تناول مشروب فلأذهبي لاحضار أمتعتك وسأكون في انتظارك لنرحل عندما تكونين مستعدة لذلك.»

فسألته :

«والى اين سنذهب؟»

فتنفس في ضيق وقال:

«عليك أن تفعلي ما أقوله لك، أو هل ستمتنعين؟»

فقالت :

«حسنا سأفعل ولكن...»

فقال لها:

«اذاً افعلي ذلك وبسرعة فالوقت يتأخر بنا وسوف تكونين في أمان تام، وهذا ما أضمنه لك.»

وسمحت ليان لنفسها بأن تغادر منصة الرقص عندما ضغط بيده أسفل مرفقها. كانت تشعر باضطراب وقلق ويساورها قدر كبير من الشك، ولكن هل كان أمامها سبيل آخر. فبقاؤها هنا في الملهى أمر بعيد عن التفكير، حتى لو قبل ريّوس ذلك وكلّ ما يمكنها فعله أن تذهب مع الرجل الذي أحسن اليها وهي تأمل أنها تستطيع التصدي لأية متاعب أخرى قد تواجهها في المستقبل.

ولم يعترض أحد سبيلها وهي تصعد الى غرفتها في الطابق الثاني. ونظرت للآن الى غرفتها بنظرة جديدة وتجنبت النظر الى السرير المغطى بالحرير، انه مكان على مستوى عال جدا وهو مايتضح من نوعية الأثاث والديكور، وكان يجب عليها أن تشعر بزهو لأنها أصبحت أهلا لأن تحل في هذا المكان. ونظرت الى انعكاس هذه المشاعر على وجهها في المرآة الضخمة المعلقة فوق السرير وابتسمت ابتسامة ساخرة.

عاد اليها لونها الطبيعي من جديد. وكانت تعرف أن لها وجها جذابا ولكنه قطعاً لم يكن على درجة كبيرة من الفتنة. وحذرها بعضهم من أن جمال الشعر والبشرة هو نقمة وليس نعمة في هذا الجزء من العالم.

وعاودها سريعاً الشعور بالقلق عندما تذكرت الرجل الذي ينتظرها. ستكون في مأمن... هذا ما قاله لها، ولكن كيف لها أن تتأكد من صدق كلامه؟ هذا الرجل ريكاردو مندوزا غريب عنها ليس الشخص الذي يمكن تجاهله بسهولة. وفي أي حال أدركت أنها تخرج من موقف كريه لتقع في موقف آخر مماثل. لكنه ليس أمامها في تلك اللحظة الا أن تثق فيه.

كان ينتظر عند نهاية السلم الحديدي عندما هبطت أخيرا وهي تحمل حقيبتها وبحركة من أصابعه استدعى أحد الخدم الذي سارع بحمل الحقيبة، وسبقها نحو الأبواب الخارجية. ووقف ريّوس يرقبها من جانب بعيد في القاعة. وكان من الصعب معرفة انطباعاته من خلال الجو المفعم بالدخان. وهو ان كان يعترض على ترك ليان للخدمة لديه فانه بالتأكيد لم يقم بأي تحرك لمنعها من الخروج.

وخرج الاثنان من باب خلفي ليصلا الى شارع خلفي يلفه الظلام والجو الحار.

وكانت سيارة أجرة تقف منتظرة، ومنح ريكاردو بعض المال للخادم الذي حمل الحقيبة ودلف الى داخل السيارة خلف ليان، وأعطى السائق اسم أحد الفنادق.

ولزمت ليان الجانب الذي تجلس فيه في المقعد الخلفي وهي متنبهة وحذرة تماماً لوجوده معها في الظلام، وأحست بالارتياح عندما خرجت السيارة من الشارع الخلفي الضيق لتدلف الى طريق عام يعج بالناس والسيارات، وكانت الأضواء المتعددة الألوان تتلألأ في كل مكان لتبهر الأبصار.

وملأ سمعها صوت الموسيقى المذاعة من الراديو. وسألته وقد نفد صبرها ولم تعد تحتمل مزيدا من التوتر:

«ما الذي قلته لريوس.»

فهز كتفيه استخفافاً وقال لها:

«لم أقل له شيئاً، كان راضياً عن السماح لك بالانصراف.»

وأخذت ترمق وجهه الذي توهج بوميض الاعلانات الضوئية وسألته:

«هل أعطيته مالا؟»

ورد عليها:

«طبعاً، والا فكيف يمكنه أن يتحمّل خسارة مثل هذا الدخل المنتظر.»

وارتفع صوته وهو يقول لها بسخرية:

«ريّوس رجل يزن كل شيء بميزان المال، طلب ثمناً غالياً للتنازل عنك.»

فصاحت فيه بلهجة يائسة:

«ولكنني لا أستطيع أن أرد لك الثمن فوراً على الأقل. هل لك أن تخبرني بالمبلغ الذي أدين لك به؟»

فقال لها وهو يرفع يده لانهاء الكلام في هذا الموضوع:

«لاجدوى من ذلك، وعندما تصلين الى الفندق سوف تتوجهين الى غرفتك مباشرة وغدا سيكون وقت للكلام.»

فقالت:

«عن أي شيء تتكلم؟ فعلت من أجل مافيه الكفاية ولا يمكنني بعد هذه الليلة أن أفرض نفسي عليك اكثر.»

فأجابها باللهجة المتعجرفة التي سبق أن تحدث بها في الملهى:

«انا لا أتخلىّ عن مسؤولية أنجزت نصفها فقط ولاتجادليني بعد الآن في هذه المسألة أو في غيرها الا اذا كنت تفضلين البقاء مع ريتوس.»

ولم تكن ليان واثقة اذا كان سيعيدها فعلا الى الملهى لو رفضت الامتثال لتحذيره. ولم تكن هناك وسيلة لمعرفة ما يمكن أن يفعله اذا تعرض لاستفزاز مثير. وبالنظر الى كل الاعتبارات لايمكنها أن تقدم على تلك المخاطرة.

وتنهدت قائلة :

«وهو كذلك... فهمت قصدك وسوف أفعل ماتريد، وخدعتها ابتسامته وهو يقول لها:

«لن أطلب منك شيئاً يخرج عن حدود امكانياتك. لا أطلب منك الا أن تطيعيني. النساء الانكليزيات يجدن صعوبة في الخضوع لسلطة الرجل. أما هنا فالاناث يتعلمن منذ ولادتهن أن الرجل هو سيدهن. وفي مقابل ذلك يكتسبن حمايتنا واحترامنا. فهل هذه صفقة خاسرة؟»

فردت عليه بعد لحظة :

«لا اعرف أنني أظن أن هذا انما يتوقف على مزاج الاشخاص الذين يعنيهم الأمر. فأنا نفسي تعلمت أن احتفظ باستقلالي عن الآخرين.»

فقال لها:

«قد يرجع هذا الى طبيعة نشأتك ومعرفتك بأن دار الأيتام لن تظل تعيلك الا الى سنّ معينه، كنت سيئة الحظ لافتقارك الى اسرة تحيطك بعناية خاصة. وكان ربّ الأسرة كفيلا بأن يكبح جماح تمردك قليلا ان لم يكن تماماً.»

فابتسمت ليان وهي تسأله:

«وهل تظن أن الزوج ربما يفعل ذلك أيضاً؟»

فأجابها وقد ارتسم على فمه تعبير ساخر:

«لو كان فيه شيء من الرجولة لما أمكنه أن يتحمل حماقتك المتحررة، وفي ظلّ هذه الظروف قد أشعر بالامتنان لأنك على ما أنت عليه.»

فاقترب حاجباها من بعضهما وقالت له:

«انني لا أفهم ماتقصده...»

فرد عليها قائلا :

«ليس هناك مايحملك على أن تفهمي الليلة، قلت لك سوف نتحدث في الصباح.»

واعتدل في جلسته عندما بدأت السيارة تهدىء من سرعتها لتتوقف وقال لها:

«دعي كل شيء لي.»

ولم يكن أمامها الا أن تطيعه وخرجت ليان من السيارة خلفه لتقف امام واجهة فندق فاخر متلألئة بالأضواء، وأخذت الحيرة تزداد داخلها. وأيا كان تفكيره لن تسعى لمعرفته قبل أن يحل الصباح ولهذا يتحتم عليها أن تتكيّف الآن مع هذا الموقف، ولكن كم يكلفه ذلك؟ وأي شيء سوف يتوقعه منها في المقابل؟

كان الفندق فاخراً من الداخل والخارج. فالسجاد والديكور حديث وجميل. ولما كانت ليان تعلم أن الدثار الذي وضعته فوق كتفيها قبل أن تغادر الملهى من النوع الرخيص نسبيا توقفت بعيدا عن قسم الاستقبال الى أن يحجز ريكاردو غرفة لها، ولم تتأكد أنها ستكون فعلا غرفة مستقلة الآ بعدما رأت المفتاح في يد خادم الفندق.

وصعدت ليان في المصعد الى الطابق الخامس، وسارت خلف الخادم بزيه الأزرق الداكن عبر ممر مفروش بالسجاد الممتد من الطابق الأرضي حتى الطابق الخامس.

وجاء ريكاردو الى غرفتها واعطى الخادم الذي حمل حقيبتها بعض المال.

ونظرت ليان الى ورق الحائط القرنفي ذي اللون الرمادي والى الستائر الحمراء المخملية الناعمة، والأثاث الأبيض الكلاسيكي والسجادة الحمراء الكثيفة انها تعلم أن ثمن كل ذلك يفوق مقدراتها...

وقال لها ريكاردو :

«هذا الباب يؤدي الى غرفة الحمام الخاص بك وأقترح أن تنامي الليلة نوما مريحا بدون أن تتأخري كثيرا.»

وتساءلت بدون أن تلتفت اليه:

«وهل أنا في حاجة الى ذلك؟ أعني لكي استطيع تحمّل الصدمة.»

فسألها وهو يبتسم:

«وهل تظنين أنك سوف تتعرضين لصدمة؟ ربما تكون الكلمة المناسبة هي الاستمتاع .»

فاستدارت نحوه وأومأت اليه وهي تستعطفه قائلة :

«أرجو ألا تتركني في جو الاثارة هذا. انك تريد مني شيئاً ما في مقابل ما تفعله، وأوضحت هذا. فهل لك أن تبلغني ما هو؟»

فأجابها:

«سيكون ذلك على مائدة الافطار، فلا بد أن يتوفر لي الوقت لبحث كل شيء قبل أن أتخذ القرار النهائي. بل ربما أقرر ألا أطلب منك شيئاً، وفي هذه الحالة فان مناقشاتنا ستكون ذات طابع مختلف....»

وألقى نظرة أخيرة على الغرفة ثم قال لها:

«ستتناول الطعام في غرفة الجلوس الخاصة بي في الثامنة والنصف. أيمكنك التوجه الى الجناح رقم ٧٣٤؟»

فردت عليه :

«أعتقد ذلك .»

أصبح مؤكدا لها أنها لن تستطيع مهما حاولت أن تأخذ منه رداً على تساؤلها فليكن موعدها معه اذن الثامنة والنصف....

وقال لها وهو يبتسم ابتسامة مصطنعة:

«تصبحين على خير.»

وظلت تحدق في الباب المغلق دقائق عديدة بعدما تركها وهي تحاول أن تتفهم الاحتمالات المختلفة لهذا الموقف. فهو لم يبد أي اهتمام شخصي بها حتى يكون

ذلك مقدمة للطلب الواضح الذي يطلبه منها. فما هو اذاً الشيء الذي يهمه؟ انها لا تملك مهارات يمكنها أن تفيد؟ وليست لها روابط من أي نوع، فهي مجرد فتاة انكليزية وحيدة وتائهة في مدينة أجنبية.

* * *

٢ ـ مأزق بعشرة الآف جنيه

مع مطلع الصباح لم تتضاءل حالة الخوف التي أنتابتها. ونهضت بعدما نالت قسطاً كافياً من النوم وأخذت حماماً وارتدت زياً أخضر فاتحاً. وتوجهت الى جناح ريكاردو الذي يعلو الطابق حيث غرفتها بطابقين وطرقت الباب وهي تحدث نفسها عما يفعله ريكاردو لو أنها قررت أن تغادر الفندق في هذا الصباح الباكر بدون أن يراها. وكان من الصعب ان تتصوّره يتركها تفلت منه بسهولة. ورغم ذلك سوف يحتاج الى تمشيط مدينة من أضخم مدن العالم مثل بوينس أيرس حتى يجدها، ولامت نفسها لأنها لم تفكر في ذلك من قبل.

وظهر ريكاردو وهو يرتدي بدلة لونها بيج، وقد طرأ عليه تغيّر طفيف نسبة الى الأمس. وكان الافطار معداً على مائدة مجاورة لنافذة واسعة يمكن أن تلقي منها نظرة شاملة على المدينة.

وجلس على الكرسي المقابل، وسألها اذا كانت نعمت بنوم هادىء. فأجابته:

«نمت نوماً مريحاً في شكل معقول ولدي الكثير في رأسي لأقوله.»

فأجابها بأنه أيضاً لديه ما يقوله. وعندما شرعا في تناول الافطار سألها عما اذا كانت تفضل طعاماً انكليزياً ليطلبه لها. فأجابته بأنها ستكتفي بتناول القهوة وشرائح الخبز. وأخذت تحتسي القهوة وهي ترقب وجهه متمنية أن ينطق بما يريد. ولما طال وقت الصمت بصورة غير محتملة سألته:

«انك لا تمضي كل وقتك في بوينس أيرس كما هو واضح. فهل تخبرني من أي مكان في الأرجنتين جئت؟»

«جئت من لاباميا ، تلك السهول الشاسعة التي تبعد مئات من الكيلومترات الى الجنوب»

فسألته اذا كانت تلك منطقة زراعية فهي تعتقد أنه لا يمكنه أن يكون مزارعاً. فابتسم وقال لها:

«استانسيا مندوزا تختص بانتاج الماشية فقط وهي تصدّر اللحوم الى مختلف أنحاء العالم»

ورأت عندئذ تنظر اليه نظرة جديدة وتذكرت سبب خشونة يديه. انه اذن أحد مربيات الماشية في الأرجنتين ويمكنه أن يركب الجياد يوميا في مزرعته. فلا عجب اذاً لو كان يتعامل في المسائل الحالية بلامبالاة. لقد اشتهر بعض هؤلاء بأنهم من أصحاب الملايين. ووضعت فنجان القهوة على المائدة بيد تهتز وسألته:

«هل اتخذت قرارك؟»

لمس السيكار بشفتيه قبل أن يجيبها وعيناه تلتقيان بعينيها عبر المائدة:

«نعم ولدي اقتراح سأعرضه عليك.»

فتظاهرت بالبرود والهدوء وسألته:

«اقتراح؟ أتعني أنك تعرض عليّ عملاً؟»

«هل تريدين أن تكسبي عشرة الآف من الجنيهات الاسترلينية؟»

فنظرت اليه ليان وقد شلّ تفكيرها فجأة وسألته:

«أنا ـ هل تمزح؟»

«كلا. إنني أود أن استعير خدماتك لمدة ستة أشهر. وفي نهاية تلك المدة سأعيدك الى انكلترا وأتخذ الترتيبات لأيداع هذا المبلغ في حسابك في أي بنك تحددينه.»

«خدماتي؟»

فقال لها في حزم وبتهكم:

«ليس بالصورة التي تظنينها. أبلغتك أمس أي نوع من النساء أفضل. ولا داعي لأن تخافي مني، اذ ليست هناك أية مهام ستؤدينها، وكل ما أريده منك هو حضورك.»

وظهر بريق أخضر ناعس في عينيها واحمرّ خداها قليلاً وهي تقول:

«هذا شيء مطمئن جداً. فهل لي أن اسألك ما سيكون عليه وضعي في بيتك»

فأجابها في هدوء:

«ستكونين زوجتي»

وعندما همّت بالكلام رفع يده قائلاً:

«ستكونين زوجتي بالاسم فقط ولفترة الستة أشهر وحدها.»

فسألته وهي مبهورة وقد بدا عليها قدر كبير من حدّة الغضب:

«وما الذي سيحدث بعد أن تنتهي فترة الستة أشهر؟»

«سوف يلغي كل شيء، وتعودين الى وطنك متحررة من أية ورطة، وبدون حاجة لأن تعملي لكسب عيشك»

وهزت رأسها ببطء وهي تقول:

«إنني لا افهم لماذا؟»

«سأشرح لك على ألا تقاطعيني اثناء ذلك.»

واسترخى في جلسته وهو يسيطر على مشاعره وقال:

«لكي أحكي القصة من البداية لا بدّ أن أعود سنوات عدة الى الوراء الى الوقت الذي توفيت فيه أمي وقام والدي باحضار كارلوس ، ابنه غير الشرعي ليعيش معنا في الأستانسيا . وكارلوس يصغرني بأربع سنوات، وعندما توفي والدي منذ أسابيع قليلة ترك وصية بأن يعهد بأمر المزرعة للابن الذي يتزوج اولاً. وكان أبي يعرف أن كارلوس يعتزم فعلاً الزواج من ابنة جار لنا في حين لم تكن لي أية خطط بالمرة في هذا الشأن. وأنا باعتباري الابن البكر لأبي لا أريد أن يستولي كارلوس على حقي . هل هناك حاجة لأن أقول المزيد؟»

وتنفست ليان بعمق وبطء وهي تحاول أن تجمع شتات أفكارها وقالت له:

«نعم، أعتقد ذلك.»

«وهل هناك شيء لم أوضحه بعد؟»

«كلا، أوضحت الأمر بجلاء تام.وأنا أفهم السبب الذي يدفعك الى التعجيل

بالحصول على زوجة. ولكنني فقط لا أدرك السبب الذي جعلك تختارني أنا بالذات لأداء هذا الدور. فمن المؤكد أن احدى نساء بلدك ...»

«ان أي واحدة من نساء بلدي لن تقبل الشروط التي أضعها للزواج فأنا لا أريد أن أظل مرتبطاً، فهي مجرّد وسيلة لتحقيق غاية.»

«ولكن لماذا حددت الزواج بستة أشهر؟»

«لأن هذا هو الشرط الذي فرضه أبي. اذ كان يعرف بقدرتي على الوفاء بالشرط الأول. ولكنه إعتقد أن من غير المحتمل أن تقبل أي امرأة الشروط الموضوعة للزواج»

«كان في امكانك أن تحبط خططه باختيارك امرأة تريد الاحتفاظ بها كزوجة. فمن المؤكد أن هناك نساء تقفز أي منهن لاقتناص فرصة تتيح لها أن تصبح سنيورا سنتوزا»

ونظر اليها بعينيه السوداوين نظرة صارمة ثم قال لها:

«ما يجب أن تعرفيه قبل أن نواصل هذه المناقشة هو أن تكبحي جماح ميلك للسخرية، ولا بدّ أن أنال احترامك..»

فمدت ذقنها الى أعلى وقالت:

«ولكنني لم أوافق على استمرار هذه المناقشة، فالفكرة كلها مستحيلة أو هي منافية للعقل والطبيعة.»

«أتقولين هذا برغم أن المبلغ هو عشرة آلاف جنيه؟ فأين هو العمل الذي يمكنك أن تكسبي منه عشرة الآف جنيه خلال ستة أشهر؟»

«لا أعرف.»

ودفعت بكرسيها الى الوراء بحركة حازمة وأضافت :

«ولكني أرفض ذلك، وسوف أحصل على ما احتاجه من قنصلية بلادي.»

«اليوم هو الأحد والقنصلية مغلقة.»

ولم يتحرك، الا أن شيئاً ما في تعبيراته جعلها تبقى. ونظر اليها لحظات طويلة صعبة قبل أن يضيف قائلاً:

«لو حاولت مغادرة هذه الغرفة دون اذني أستطيع أن أتحدث هاتفيا مع ريّوس وأجعله يحضر لأخذك، وسوف يبتهج كثيراً باسترداده.»

فقالت وقد تغلبت عليها مشاعرها بدون أن تقتنع كثيراً بما تقوله:

«انك تقول ذلك لمجرد تهديدي، وريّوس لا يملك السلطة لارجاعي الى هذ الملهى رغماً عني.»

«أتظنين أنه لا يستطيع؟»

وهزّ كتفيه في سخرية وهو يتجه نحو الهاتف ورفع السماعة قائلاً:

«سوف نرى.»

وراقبته ليان باحساس من لا يعيش الواقع وهو يدير القرص مرّة واحد ليحصل على خط خارجي، ثم يدير الرقمين الأولين... لا يمكن أن يحدث هذا لها. فهو أشبه بالحلم أو الكابوس، وقبل أن يدير الرقم الثالث التقت عيناها بعينيه وهي تعض شفتها السفلى ولا تكاد تعرف ما اذا كان يجب عليها أن تصدقه أم لا. فهو على درجة من القوة تمنعه من قول الحقيقة. وسألته بصوت غريب:

«لنفترض أنني وصلت الى السلطات أولاً.»

«لن يسمح لك بذلك.»

وانتظر لحظة أطول ثم رفع اصبعه عن قرص الهاتف ووضع السماعة قائلا:

«إنني آسف لاضطراري لاستخدام هذا الأسلوب لكنني في حاجة ماسة الى مشاعر أكثر رقة لكبح جماح الرغبة في السيطرة. فغداً عند الغروب سيتزوج كارلوس من إيزابيلا . وقبل هذا الوقت لا بد أن أعود ومعي زوجة. فهل توافقين أن تفعلي ما أطلبه منك؟»

فنظرت اليه وقد بدت بلا حول ولا قوة وسألته:

«ولكن ماذا سيحدث بالنسبة الى عملي ... والوكالة.»

«كل شيء سيتم تدبيره، فهل تعطيني وعدك؟»

«وهل سأظل سجينة اذا أعطيتك وعدي؟»

فأجابها وقد شدت نظراته عينيها:

«كلا. ولكن اذا نكثت بوعدك ما من مكان في المدينة أعجز عن أن أعثر عليك فيه. واذا ما عثرت عليك...»

وبدون أن يكمل كلامه طلب منها أن تعطيه وعدها.

وقالت ليان وهي مضطربة وغير قادرة على أن تستوعب الموقف كله:

«انك لا تترك لي مجالاً لأي بديل آخر ... حسناً أعطيك وعدي.»

فبدا عليه الارتياح وقال لها:

«حسناً. يمكننا الآن أن ننهي طعامنا.»

«ولماذا أنا بالذات...؟ لماذا اخترتني؟»

«لأن متطلبات هذه المهمة متوفرة فيك. فليست لك أسرة تنتظر معرفة أخبارك، وليست لديك ارتباطات لا يمكن التملّص منها، ولست خاضعة لتقاليد نساء بلدي، كما أنك في حاجة للمال.»

فردت عليه بحرارة:

«كلا إن حاجتي للمال ليست شديدة.. لقد وافقت لأنك ارغمتني على ذلك وليس من أجل المال، وأنا ما زلت غير واثقة اذا كنت لا تخدعني فيما يتعلق بريوّس.»

«ليست لهذا أهمية كبيرة. لقد أعطيتني وعدك.»

«وعليك أن تثق في وفائي بوعدي.»

ورفع كتفيه القويين وهو يقول:

«إنني أثق أنك سوف تلتزمين بالتعقل وتحافظين على وعدك. ولكن اذا حدث ونكثت بتعهدك سوف تفضلين الف مرة لو انك قررت العودة للعمل مع ريّوس ... هل كلامي مفهوم؟»

فقالت وقد بدأت درجة حرارتها تقل :

«تماما. وأنا ممتنة لأن الترتيب الذي تمّ بيننا هو مجرد اتفاق عمل.»

«ربما. وسوف تجدين لدى أبناء اللاتينية حبيباً يتفق مع ميولك. »

«وما الذي تعرفه عن ميولي؟» وسألها وهو يرفع حاجبيه السوداوين.

«أتظنينني مخطئاً في تقديري؟ هناك طريقة يمكن التأكد بها.»

فقالت له بسرعة:

«وعدتني بأن علاقتنا ستكون علاقة عمل.»

«أهكذا؟ هناك من اللاتينيين من يسعده جداً أن يوفر لك ما هو أفضل، فإن كنت تتفقين معي في هذا الرأي عندم يحين وقت انفصالنا يمكنني أن أهيء لك خوض هذه التجربة.»

فردت عليه في حدة:

«كلا... سوف أختار من أحبّ اذا أردت أن أتخذ لنفسي حبيباً.»

فقال لها في لهجة تحذيرية:

«ولكن ليس خلال الأشهر الستة المقبلة، وسواء أكانت علاقتنا علاقة عمل أم لا فان زوجة أحد افراد عائلة مندوزا يجب أن تلزم نفسها بأقصى درجات الحذر ويجب أن يبدو زواجنا في عيون الآخرين زواجاً حقيقياً وفعلياً. وأي خروج من جانبك عن الخطوط التي أحددها لسلوكك سوف يعامل بالطريقة التي جرى العرف عليها... وسوف تحصلين على أجرك كاملاً.»

«هكذا بدأت أفهم.»

قالتها ليان وهي تتظاهر بالبرود وتقاوم في نفسها الرغبة في أن تقول له أنها لن تستمر في هذه العملية رغم تهديده لها. واذا كان هناك احتمال نسبته واحد في الألف لأن يعيدها الى ريبوس فانها ليست مستعدة لأن تقبل ذلك. إلا أنها تستطيع أن تجعل الأمر صعباً أمامه، وهو ما سوف تفعله. وأضافت قائلة:

«لا أعتقد أن عشرة آلاف جنيه مبلغ يرضيني إنني أريد عشرين ألفاً.»

ومرت فترة صمت ثقيلة، ثم أخذت عيناه تضيقان كأنهما تبعثان تهديداً لها. وأخذ يحدق في وجهها ويمر ببصره على عنقها، وقال لها:

«سأجعلك تدفعين مقابل ذلك ثمناً غالياً.»

فردت عليه بصوت غليظ ودقات صوتها تسرع»

«وبذلك تتخلى عن هدفك؟ ان إلغاء عقد الزواج يتطلب عادة اثبات عدم الدخول...»

«لم نتزوج بعد.»

«ان تعهدك يقابل تعهدي بالنسبة الى الزمان والمكان، فهل تجرؤ على نقض وعدك من أجل آلاف من الجنيهات.»

فقال لها وهو يعض على أسنانه:

«المال قيمته ضئيلة، ولكن العرض الذي قدمته لك عادل. ولو أنك تصرفت وفق ما صرحت به فسوف تخسرين العرض كله ويصبح لك زوج يجد متعته في ممارسة أقصى درجات الانتقام منك. فهل تخاطرين بهذا؟»

فأدركت أنها لن تستطيع أن تتغلب على هذا الرجل، وقالت له في صوت خفيض:

«حسناً ... لقد ذهبت أنا اذاً الى مدى أبعد مما كان يجب»

فقال لها وقد أخذت لهجة الازدراء تخف حدتها:

«نعم لقد فعلت، وفي امكانك الحصول على خمسة عشر ألف جنيه.»

فهزت رأسها وقالت له أنها لا تريد هذا المبلغ، ولكنه أصر على أن تحصل عليه وقال لها أنها على حق لأن المرء يجب ألا يتوقع أكثر من مجرد ثمن عادل مقابل مثل تلك الخدمة. فردت عليه في لهجة يائسة:

«سنيور مندوزا ... أرجوك لا تجعلني أدخل في هذه العملية ... فأنا لا أستطيع ذلك.»

«سوف تستطيعين ويمكنك ذلك، والا فإنك تعرفين البديل.»

«انني لا أصدق ما قلته فيما يتعلق بريبوس.»

«لا أهمية الآن لتصديقك أو عدم تصديقك اياي، فقد أعطيتني وعدك فعلاً في هذا الشأن، ولن أسمح لك بنقض هذا الوعد.»

ونهض وهو يدفع بكرسيه في عنف وبطريقة توضح أكثر من الكلام مقدرته على ممارسة العنف وقال لها:

«غداً سيتم الزواج ثم نطير في الحال الى الأستانسيا، ولن تغادري الفندق إلا اذا كنت بصحبتك.»

ونظر اليها في إعجاب برشاقة قوامها ثم قال لها:

«إذهبي الآن الى غرفتك وعندما نلتقي مرة أخرى يجب أن يكون كل منا في حالة ذهنية أفضل.»

وغادرت ليان المكان بدون أي نقاش وهي سعيدة لأنها سوف تتخلص من سيطرته ولو لفترة قصيرة. وعندما وصلت الى غرفتها استندت الى الباب وهي تحاول جمع أفكارها. الأمر كله يبدو أكثر من خيالي وأكثر من مجرّد شيء لا يصدق. هل يحتمل أن تكون القصة كلها أو هذا الجزء منها على الأقل مجرّد حلم؟

انها تعلم أنه ليس بحلم، فالتفاصيل غاية في الوضوح وعليها أن تقرر ما الذي ستفعله. ولكن ألم تتخذ قرارها فعلاً. ان ريكاردو مندوزا ليس الرجل الذي يتظاهر بادعاءات فارغة. واذا قال أنه يستطيع أن يعثر عليها في أي مكان تختبىء فيه فانه يعني أنه قادر فعلاً على ذلك. فما العمل اذن؟ واهتزت الأرض تحت قدميها. ولم تشأ أن تجد لنفسها مخرجاً، فالنساء هنا لا تنصفن من ظلم الرجال كما يبدو.

ومرّ الصباح في بطء. وعندما انتصف النهار اتصل بها ريكاردو تليفونياً ليسألها عما اذا كانت ستتناول طعام الغداء في غرفتها أم أنها تفضل أن تتناول معه في المطعم. فردت عليه بسرعة:

«سأتناوله معك في المطعم.»

أدركت أنه لا فائدة من بقائها بعيدة عنه فما دامت قررت المضي في هذه العملية عليها أن تعتاد على صحبته.

وقال لها وقد اكتسب صوته رقة:

«حسناً، سوف أقابلك في البهو خلال خمس عشرة دقيقة.»

وأخذت تسرع في ارتداء ملابسها المناسبة وان كانت لا تناسب زوجة رجل ثري. سوف تتمسك في المستقبل بارتداء ملابس معينة تفضلها ورغم أنه ربما يحاول ارغامها على الالتزام بما اتفقا عليه لن تمضي فترة الشهور الستة المقبلة الا بالطريقة التي تتفق مع شخصيتها.

وأثناء مرورها في الردهة المزدحمة لمحت زوجاً أو زوجين من السيّاح وسألت نفسها عما يمكنه أن يحدث لو طلبت منهم مساعدتها. وتباطأت فعلا وهي تمشي بالقرب من زوجين يبدو أنهما انكليزيان، ولكنها عادت فأسرعت الخطى اذ رأت ريكاردو يراقبها وهو واقف قرب مدخل المطعم. وقال لها ريكاردو في سخرية:

«حسناً فعلت بعدم استسلامك لأية نزوة، انني لم أكن لأجد صعوبة في إقناع هذين الاثنين بأن زوجتي الانكليزية المتمردة تمارس دعابتها على حسابهما.»

«لم أصبح زوجتك بعد.»

ورد عليها وهو يهز كتفيه باستخفاف:

«ولكنك تودين الدور من الآن وأمامك الكثير لتتعلميه.»

وجلسا الى المائدة التي حجزها ريكاردو في المطعم المزدحم، وقالت له ليان:

«أعتقد أنك متحجر القلب ولا تعبأ بأي شيء، سوى تلك المزرعة.»

فطلب منها أن تنطق الاسم الصحيح للمزرعة بالاسبانية وهو إستانسيا، وسألها عما تعرفه من اللغة الأسبانية. ولما أجابته بأنها لا تعرف الا القليل قال لها أنها عندما تغادر الأرجنتين يجب أن تكون قد بلغت درجة عالية من الالمام بالأسبانية. وسألته:

«هل تخليت عن فكرة تعليمي كيف تتصرف المرأة على الطريقة الأرجنتينية؟

«كلا، ولكن ستة أشهر ستكون كافية لذلك، وانني آمل أن تكون علاقتنا خالية من المتاعب بقدر الامكان ... ولهذا سنعقد اتفاقاً: واذا أظهرت تساهلاً معي أمام الناس فانني أتعهد بأن أتغاطى عن هفواتك عندما نكون وحدنا.»

فأبدت ليان موافقتها وان كانت قد أحست ببعض الشك في كلامه عن البقاء وحدهما. ولكنها أبعدت الشك عن نفسها لأنها تدرك أنه لن يضحي بخططه وحرياته لمجرد الاستحواذ على امرأة لا يشعر نحوها بأي شيء. وأعربت عن شكها اذا كان يعرف الحب.وطلبت منه ليان أن يحدثها عن الاستانسيا

ومن يعيش فيها سواه هو وأخيه. فقال لها إنه أخ غير شقيق وليس له أي حق فيها. وسألته إذا كان يكرهه، فقال إن لديه اسبابه.وعادت فاستفسرت منه اذا كان يكرهه لأنه ابن غير شرعي أم لأنه محبوب من الناس. فقال لها إنها على حق في استفسارها لأنه هو نفسه ليس له سوى أصدقاء قلائل ولكنه يحافظ عليهم وأضاف:

«إن ما اعرفه عن كارلوس لا شأن لك به، فقد قمت بادارة شؤون الاستانسيا على أكمل وجه منذ مرض أبي لأول مرة، ولمدة خمس سنوات وانني لا أعتزم التخلي عن اشرافي عليها.»

«ولكن هل سيظل كارلوس يقيم فيها؟»

«يمكنه الاقامة فيها هو وايزابيلا ، الى أن يتمّ بناء منزل آخر لهما وذلك ما لم يكن كارلوس يفضل أن يتولى ادارة مزرعة ريغا والد ايزابيلا والذي سيرحب بذلك خاصة وأن السن تتقدم به وسوف تصبح المزرعة ملكاً لكارلوس آخر الأمر.»

«وهل ايزابيلا هي الابنة الوحيدة لريغا ؟»

«نعم اذ ماتت أمها وهي تضعها، تماماً مثلما حدث بالنسبة الى امي. وتقيم في البيت أيضا أنييز التي كانت تعمل ممرضة لي من قبل وهي الآن رئيسة للخدم. وعلى بعد ستين كيلومترا من هنا تقر بلدة سنتينا . وينبغي ألا تذهبي الى تلك البلدة الا اذا كنت بصحبتك.»

فرفعت ليان رأسها وسألته:

«وهل سأظل اذن حبيسة داخل الاستانسيا ؟»

فابتسم وقال لها:

«لن تجديها كما تظنين مكاناً مقيداً لحركتك، فالمرء يحتاج الى يوم كامل ليصل على ظهر الخيل الى أحد أطرافها. هل سبق لك ركوب الخيل؟»

«ليس كمن يعتاد ذلك أو على درجة من الخبرة.»

«ستكتسبين اذاً خبرة أخرى تعودين بها الى انكلترا فسوف أعلمك بنفسي

ركوب الخيل.»

وأخذ يداعبها بقوله:

«هل تشفين سريعا من الضرب؟»

«وهل سأتعرض للضرب؟»

«ليست هناك من وسيلة لترك انطباع دائم لديك سوى ضربك. وعلى أية حال فإن الأيام سوف تبين هذا. الطعام مقبل وسوف تدخلين السرور الى نفسي بتناولك القليل من كل لون، وبعد أن تنتهي من تناول الطعام سوف نتجول في المدينة فلن يكون لدينا وقت غداً.»

وأحست ليان بحلقها يجف وهي تتذكر أنها تتزوج غداً من ذلك الرجل الغريب الذي اختطفها! إنها لا تحتمل التفكير في ذلك ورغم هذا فليست أمامها من وسيلة للفرار، أنها غلطة الوكالة وسوف تقاضيها عند عودتها اذا كانت ستعود. فستة أشهر تبدو كأنها العمر كله، يمكن أن يحدث أي شيء خلالها.

٣ - السيّد في العرس

من الطائرة وعلى ارتفاع ثلاثة آلاف قدم بدت الآفاق لانهائية والسهول منبسطة مترامية الاطراف، ولا يكسر حدة رتابتها سوى الخطوط المتقاطعة للطرق الترابية التي لاتنتهي. قال ريكاردو ذات مرة ان خط السماء الى الجنوب عندما تبزغ منه سلسلة التلال المنخفضة تكون قد وصلنا الى المنطقة. وسلسلة تلال سييرا دي تانديل تقع على حدود أرض مندوزا

وحتى الآن لم يطرأ أي تغيير في رقعة الأراضي المعشبة برغم أن المسافات البعيدة الممتدة الى الجنوب يكتنفها الضباب الشفاف.

وأخذت ليان تختلس النظر الى الرجل الذي تزوجته منذ ساعات قليلة. وتتأمل يديه القويتين اللتين تتحكمان في أجهزة الطائرة، كان من الصعب عليها أن تتصوّر أن كل هذا يمكنه أن يحدث لها خلال يومين فقط ورغم هذا فإنها هنا الآن وأصبحت سنيورا مندوزا ، زوجة أحد أثرياء الأرجنتين، وهو رجل لا يمكن لعالمها أن يطاول عالمه. ان هذا العالم الذي يمتلك فيه الأشخاص الطائرات الخاصة والثروات الطائلة لم يكن ولا يمكن أن يصبح عالمها. وهي لا ترغب في دخوله ، بل ان مجرد تحملها الحياة ستة أشهر في مثل هذا العالم سوف يستنفذ كل طاقة لديها.

وما كانت ليان قد بدأت تدرك وهي في الزورق النهري الذي أقلها مع ريكاردو الى المطار أن الرجل الجالس الى جوارها أصبح زوجها ويملك السلطة عليها بحكم التقاليد التي ما زالت النساء تعامل بمقتضاها كمواطنات من مرتبة

ثانوية الى حد بعيد. ان تفكيرها في ذلك الأمر كان شيئا مزعجاً.

وعادت بذاكرتها - وهي يائسة - الى الليلة السابقة وأخذت تحاول إستكشاف روح المغامرة التي دفعتها الى ما هي فيه الآن. اذ صحبها ريكاردو الى واحد من أفخم الأماكن الليلية بعد أن اشترى لها ملابس تحلم بها كل امرأة، وبارتدائها طرأ عليها تغيير واكتسبت ثقة في نفسها. انها تعلم أن الرجال الآخرين ينظرون اليها باعجاب وينظرون الى ريكاردو بحسد، مما أدخل السعادة الى نفسها. وأدركت أنها تحس بالزهو والغرور، والحياة فيها ما هو أهم من هذا. وتمنت لو أنها كانت تبعد مليون ميل عن هذا المكان وعن هذا الموقف وتمنت العودة الى بلادها.

ونظر ريكاردو اليها لحظة وهو يفحص ملامحها وسألها:

«انك هادئة جداً. هل أصبحت فجأة تخافين مني؟»

فأجابته بصوت خفيض يحمل نبرة لوم وتوبيخ:

«انني لا أعرفك بالمرّة ولا أفهمك».

«الفهم سيتحقق ان أردت ذلك. ولكن اذا لم يتحقق فإن هذا لن يهمّ كثيرا».

«بشرط أن أفعل ما يطلب مني، أليس كذلك؟»

«ولكنك لم تبذل جهداً كبيراً في الرجاء أمس».

«يوم أمس كان مختلفا كنت مضطراً لارغامك على الموافقة فلم يكن هناك وقت لمحاولة الاقناع بالأسلوب الرقيق».

فصمتت فترة طويلة وسألته:

«أتعني أنك كنت تخدعني عندما هددت باعادتي الى ملهى ريوس ؟»

«نعم فلم يكن ليطلب اعادتك اذا لم تكن لديك رغبة في ذلك، ان ريوس رجل وضيع ولكنه ليس غبياً».

فقالت وقد إصفرّ وجهها وأصبح متوترا.

«خدعتني ودبرت الأمر كله»

«قلت لك انني كنت في أمسّ الحاجة الى ذلك. وكانت لدي أنا نفسي شكوك عندما

وصلنا الى الفندق ولكنني تغلبت عليها. وعليك أن تفعلي مثلي.»

وأضاف في تهكم:

«من الأفضل أن تعلمي أنني لست قاسي الفؤاد بالصورة التي تخيلتها أول مرة.

ولم تشعر ليان بأن هناك فرقاً. فهي هنا الآن. أليس كذلك؟ لقد استغل سذاجتها وهذا في حدّ ذاته قسوة.

وقال لها:

«انا أفضل أن نكون أصدقاء لا أعداء. فان هذا سيجعل الأمور أسهل.

«بالنسبة اليك أم بالنسبة اليّ؟»

«بالنسبة الينا. انت اعتدت على كسب عيشك ألا تعتبرين هذا مجرد عمل؟ انه لمدة ستة أشهر فقط.»

فقالت:

«لنفترض أنني رفضت العودة بعد ستة أشهر؟ هل فكرت في هذا؟»

وتغيّر وجهه وأصبح متوتراً ومنفرداً من جديد وقال لها في صوت خفيض:

«لن تجرؤي على ذلك.»

وكان على حق في هذا، فهي لن تجرؤ. كما أنها لا ترغب في ذلك. فستة أشهر فترة أكثر من كافية. وردت عليه:

«لا داعي لان تقلق لن اثير أية مصاعب وسوف يسعدني ان اتخلص منك»

«سوف اتأكد من هذا... وصلنا الآن. وخلال لحظة او اثنين سترين هبوط الطائرة.»

ولمحت ليان الأبنية وقطعان الماشية ترعى العشب في حراسة راكبي الخيول. وقال لها ريكاردو أن الماشية يتم تجميعها ونقلها الى محطة النقل بالسكك الحديدية ومن هناك تتجه رأساً الى منطقة لابلاتا الساحلية حيث يوجد المجزر.

وسألته:

«لم يتبق من عمر هذه الماشية اذن الا القليل. أليس كذلك؟»

فهز كتفيه بلا مبالاة وقال لها:

«الانكليز وحدهم ذوو حساسية خاصة لمثل هذه الأمور. فالحيوانات تربى من أجل اللحم.»

وحطت الطائرة في سهولة ويسر وتوقفت على بعد يارادات قليلة من مجموعة المباني عند أحد طرفي المدرج. وخرج رجل خلاسي من أحد تلك الأبنية، يرتدي ملابس خشنة، وملامحه صارمة، وابتسمت له ليان فرد عليها بنظرة متفرسة تثير الارتباك. وتحدث اليه ريكاردو قليلاً بالاسبانية ثم صحب ليان الى سيارته التي كانت تقف في الانتظار بينما أخذ الركاب الآخرون يخرجون الأمتعة من الطائرة، وبعد أن فرغ الخدم من وضع الأمتعة في السيارة انطلق بهما ريكاردو في الحال بدون أن يتحدث مع الرجل مرة أخرى. وبينما كانت السيارة تقطع الطريق الترابي سألته ليان في تهكم:

«هل يتمّ تربية هذا الرجل للقيام بالخدمة فقط؟»

فرمقها بنظرة سريعة متجهمة وسألها:

«هل هذا مزاح؟»

«كلا اني لا أجد في معاملة البشر كالماشية شيئاً يدعو للمزاح على الاطلاق أليس للرجل اسم؟»

فقال لها في غضب:

«انني لا أقدم زوجتي الى خادم.فعادات بلادي تختلف عن عادات بلادك.»

«أنت على حق فقد زالت العبودية من بلادي بانتهاء العصور الوسطى.»

«الناس ليسوا مستعبدين، فهم أحرار في المجيىء والذهاب كيفما شاؤوا.»

«وكيف ذلك؟ من شكل الملابس التي كان يرتديها ذلك الرجل يتبيّن أنه وأمثاله لا يملكون الكثير من ماديات الحياة. فكم تدفع لهم؟»

«كفى! ليس هذا من شأنك.»

«لابد أن يكون لي شأن بهذا ان كنت سأقوم بدور زوجتك. أم أن المفروض أن تتعامى المرأة عن احتياجات الطبقات الدنيا؟»

وقال لها بدون أن يرفع صوته لكن بلهجة حازمة:

«انني لا أقبل أن أتلقى دروسا كهذه من أية امرأة. فهل تريدين أن تشعري بتفو[illegible]
بدني؟»

فتنهدت ليان وسألته؟

«وهل هذا ردك على كل شيء؟»

«كلا. ليس بالنسبة الى كل شيء، وانما بالنسبة الى فتاة انكليزية تظن نفسها فوق
هذه المعاملة.»

فامتنعت عن الرد وتعمدت السكوت فنظر اليها قائلاً:

«قلت لك أن التكيّف مع عاداتنا جزء ضروري من اتفاقنا. فلا تضطريني الى
وضعك في مكانك الصحيح أمام الآخرين.»

وبدأت الشمس تميل الى الغروب لتكسو بحمرتها المناظر الطبيعية ذات
المعالم غير المحددة. انها بعيدة الآن عن وطنها وتعيش في عالم آخر وتشعر بأنها
وحيدة تماماً. ابتلعت الكلمات العنيفة التي قفزت فجأة الى حلقها وقالت له
بصوت أجش قوي:

« ريكاردو يجب عليّ أن أحتفظ بشخصيتي. ألا ترى ذلك؟ ولا أستطيع أن
أتصرف بالطريقة التي تتصرف بها المرأة الأرجنتينية. فلا بد أن أسأل أسئلة
تغضبك، وقد لا ترضيني الردود، ولكن تلك هي الطريق التي أتصرّف بها. واذا
حاولت ألا أتصرّف على هذا النحو أمام الآخرين يجب أن تحاول أن تعاملني على
قدم المساواة عندما نكون وحدنا كما وعدت.»

فارتفع أحد حاجبيه وقال:

«لا اذكر انه سبق لي ان وعدت بأن اعاملك على قدم المساواة»

«العبارة التي قلتها هي التغاضي عن هفواتك وأعتقد أن تلك هي هفواتي. وأنت
لا تستطيع أن تعالجها بالتهديدات والتحذيرات، وتستطيع أن تخفف منها بأن
تثق في انني أريد أن أتعلم شيئاً عن بلادك وأنا هنا. ويمكنك أن تعلمني ومع ذلك
لا أعد بأن أحب كل ما سوف أعرفه.»

وسكت فترة قبل أن يبتسم ويقول:

«انني لا أعرف امرأة تتحدث الى الرجل بمثل هذه الطريقة. قد أكون أنا أيضا
بحاجة لأن أتعلم شيئا. حسناً سأبذل جهدي بكبح جماح انفعالاتي بالنسبة اليك،
ولكنني لا استطيع أن أعد بألا أغضب منك. فهل هذا يسعدك أكثر؟»

«نعم كثيراً.»

ونظرت الى السهل المظلم ورأت أضواء من بعيد وسألته:

«هل هذا هو المنزل؟»

«المنزل في الاتجاه الآخر.»

وأضاف في لهجة جافة:

«نحن الآن في طريقنا مباشرة لحضور حفل الزواج.»

فاعتدلت ليان في جلستها ونظرت اليه قائلة:

«كلا يا ريكاردو لا يمكنك أن تفعل هذا!»

فقال لها بلهجة حازمة لا تقبل التراجع:

«لا بد ولا جدوى من محاولة اقناعي بتغيير رأيي. فكارلوس يجب أن يعرف في
أقرب وقت انه لا يمتلك استانسيا مندوزا.»

«ولكن هذا سيفسد الحفل.»

«ورغم ذلك فسوف يجتاز هذا الموقف.»

وأخذت تتلمس في ملامحه النحيلة علامة تشير الى أي تساهل وسألته:

«وايزابيلا ... هل تكرهها هي ايضاً؟»

«كلا.»

وقبض بشدة على عجلة القيادة وضغط شفتيه وأضاف:

«ولكنها بزواجها من كارلوس فقدت الحق في أن أراعي مشاعرها.»

فقالت له في استعطاف:

«انتظر حتى الصباح على الأقل، واتركها الليلة، أرجوك يا ريكاردو!»

«هل تظنين أننا نكون أكثر شفقة بها لو تركناهما يعودان الى الاستانسيا مندوزا
ليجدانا هناك؟»

«لا أعرف، ولكن يجب أن تفعل ذلك، ان اي شيء أفضل من التحام حفل الزواج نفسه!»

وقال بدون أي بادرة للتراجع:

«لا أوافقك، فكلما عجلنا كلما كان ذلك أفضل.»

وسكتت ليان . اذ بدا لها أن لا فائدة ترجى من وراءذلك. وبقلب محزون راقبت الأضواء وهي تقترب. ورأت المنزل ذا الطابقين يحف به فناء متسع وسمعت صوت الموسيقى والصيحات والضحكات. وما أن لمح الحاضرون ريكاردو في سيارته حتى تراءت انفعالات مختلفة في ضوء المشاعل والقناديل وفتح أحد الخدم باب السيارة فنزلا منها و وصحبها ريكاردو نحو المدخل الذي تعلوه الأقواس. وأخذ الحاضرون يفسحون لها الطريق وسط المكان المزدان بالزهور بينما انتشرت في الفناء الموائد العامرة بالأطعمة ومن حولها المدعوون الذين ارتدوا الزي الأسباني التقليدي. واتخذ العروسان مكانهما فوق منصة في نهاية الفناء وبجوارهما زوجان مسنان اعتقدت ليان أنهما والدا العروس وأحست بذراع ريكاردو يتصلب قليلاً تحت ذراعها بينما عيناه تتطلعان الى جمال الفتاة الأخاذ وهي بخيبة أمل زوجها لديه أكثر من سبب ليكره أخاه غير الشقيق، فلعله كان يريد ايزابيلا لنفسه.

ولم يصدق بعض الحاضرين عيونهم وهم يرون ريكاردو، في حين شعر البعض بالأسى بينما أبدى واحد أو اثنان مشاعر الابتهاج لمجيئه. وتملك الجميع غمرة من حب الاستطلاع حول هذه المرأة، وأخذ ريكاردو يومىء برأسه يمنة ويسرة ليرّد على تحية الحاضرين ، لكنه لم يحاول التحدث مع أي منهم ومضى بها نحو العروسين بينما اصيب أفراد الحاشية التي أحاطت بهما بذهول كاد يجمد الدم في عروقهم وهم يتوقعون، ما سوف يحدث.

كان كارلوس أقصر قامة وذا جسم ممتلىء، وأقوى من أخيه غير الشقيق. وكان وجهه وسيما يعبر عن الجرأة. وشعره أسود مجعداً وكان يرتدي زياً رائعاً يذكرها بزي مصارعي الثيران. قال كارلوس بالأسبانية:

«هكذا عدت يا أخي لتحضر حفل زواجي واصطحبت معك ضيفاً.»

وكانت ابتسامته التي وجهها الى ليان تثير الحيرة لأنها تنم عن رفض الاعتراف بالاحتمالات التي ينطوي عليها وجودها في هذا المكان. وقال لها:

«مرحباً سنيوريتا.»

فصحح له ريكاردو كلامه قائلا:

«بل سنيورا ... تزوجنا صباح اليوم في بوينس أيرس »...وخلال السكون المفاجىء لمحت ليان علامات الارتياح على وجه العروس الجميل. وظنت أنها أخطأت اذ كيف تغتبط زوجة لأن زوجها فقد كل شيء؟ كرهت ليان نفسها بسبب ما تفعله وكرهت ريكاردو لأنه دفعها الى المشاركة في هذه العملية. وبغض النظر عن سلامة الموقف أم خطأه فان هذا لن يحل المشكلة.

وكان كارلوس هو البادىء بالكلام وقال في صوت منخفض متهدج وبانفعال مكبوت:

«هذا مستحيل.»

«لكن ما يثبت ذلك إذا أردت الاطلاع عليه.»

قالها ريكاردو بلهجة لا تنمّ عن الانتصار. ونظر الى ايزابيلا وهو يضع ذراعه على كتفي ليان ويضمها اليه قائلا:

«زوجتي انكليزية وتتحدث الاسبانية قليلاً لسوء الحظ ولكنها سوف تتعلمها.»

واتجهت ايزابيلا نحو ليان تصافحها بكلتا يديها وقالت لها في هدوء بالانكليزية:

«مرحباً بك يا أختي، لا بد أن تشاركينا العرس أنت وريكاردو ...»

واقترب فرنسيسكوريغا من زوج ابنته، وفهمت ليان ما يقصده وهو يقول له:

«الأمور تغيرت الآن يا كارلوس ، وبيتنا هو بيتك الآن.»

ووضع يده على ذراعه فأسكت الكلمات التي كاد ينطق بها كارلوس ، وأضاف قائلاً :

«هذا افضل يا بني.»

وتخلصت ليان من ذراع ريكاردو لترد على تحية إيزابيلا وهي تشـ
بثقل في اعضاء جسمها وبقلب حزين وأسف لما يحدث. ولكنها حاولت أن تخـ
بنظرات عينيها عما تشعر به.

وهمس أحد الحاضرين ببضع كلمات فابتسم ريكاردو واعتذر عن البقـ
قائلاً أن الرحلة كانت متعبة وان ليان ترغب في أن تستريح. فقالت إيزابيـ
بلهجة احتجاج:

«ولكن اليوم هو يوم عرسكما وعرسنا. ولا يجب يا ريكاردو أن تغادر الحفـ
قبل أن تشربا النخب. هل تريد أن تحرم عروسك من حقها في مستقبل سعيد

وقبل أن يرد عليها ريكاردو اتجهت الى زوجها وجذبته من يده وقالت له:

«ألا توافقني يا كارلوس على ضرورة بقائها بعض الوقت؟ اننا الآن اسر
واحدة.»

ونظر كارلوس الى أخيه بعينين مليئتين بالانفعال ودعاه هو وليان
لتناول الطعام. فهز ريكاردو كتفيه بلا مبالاة.وسمحت ليان لريكاردو
الذي لم تكره أحداً مثلما كرهته، بأن يصطحبها الى المائدة الرئيسية لتجلس هي
في مواجهة إيزابيلا ويجلس ريكاردو عن يسارها في مواجهة كارلوس...
وحاولت ليان أن تبدو طبيعية ولكنها لم تستطع وبينما بدأ الخدم في تقديم
أطباق الطعام سألت إيزابيلا ليان :

«هل تعرفت بريكاردو منذ فترة طويلة؟»

وتهيأ ريكاردو لسماع ردها بدون أن يبدو على وجهه أي قلق لما يمكن أن
تقوله. حسناً انها اذن ستقول لهم الحقيقة. فهذا ما يستحقه فردت على إيزابيلا
بدون أن تنظر الى ريكاردو :

«منذ يومين فقط.»

فقالت إيزابيلا في دهشة:

«انها فترة قصيرة جداً. لا بد أنكما وقعتما في الحب في الحال عندما تقابلتما.»

ردت ليان في حرارة:

«ان المرء الذي يتم انقاذه من مصير أسوأ من الموت يقع تحت التزام هائل.»

فاتسعت عينا إيزابيلا وأعربت عن شكها فيما تسمع فتدخل ريكاردو
ليقول لها :

«الشيء الذي ستعرفينه عن زوجتي أنها تميل الى الدعابة بصورة تختلف عنا.
وليان تقصد المزاح معك.»

وضغط على ركبتها من تحت المائدة محذراً وسألها:

«أليس كذلك؟»

وأحست دقات قلبها تسرع ولكنها سيطرت على نفسها وهي تجيبه

«اذا قلت ذلك فأنت دائما على حق يا ريكاردو .»

فهم الجالسون عن قرب تلك الكلمات في حد ذاتها غير أنه من المشكوك أنهم
فهموا المعنى المقصود من ورائها. ولكن الرجل الجالس الى جوار ليان لم
يخطىء في ادراك هذا المعنى. وسمعته ليان وهو يجتذب أنفاسه واتجهت بنظرها
وهي تبتسم ناحية إيزابيلا التي كانت تنظر في دهشة، وقالت لها:

«ريكاردو يطلب مني أن أعامله بالطريقة الأرجنتينية. فهل تساعديني لتعلم
الطريقة الصحيحة؟»

فأجابتها وهي تبتسم:

«انك تسخرين مني مرة أخرى.»

أحست ليان بأنه لا يصح اقحام إيزابيلا في هذا الأمر الذي يتعلق بها
وبريكاردو وحدهما وقالت لها:

«اغفري لي إيزابيلا وهي تضحك:

«كلا. انك تتصرفين بطريقة مختلفة ولكنها مسلية. أليس كذلك يا كارلوس؟»

فوافقها كارلوس ونظر الى ريكاردو قائلاً:

«أنت على حق وأنت أيضاً محظوظ في اختيار ايزابيلا فهي عروس رائعة
ومتألقة.»

ونظرت ليان الى المدعوين من حولها وهم يتحدثون لغة لم تتقنها بعد... ان
ليس عالمها.. وهي لا تصدق أن ما تعيشه هو الواقع وأن ريكاردو هو زوجه
فهي لا تحبه بل ولا تشعر بودّ نحوه.

وهو بالاضافة الى تحجّر قلبه يميل الى القوة في تعامله، اذ لم يكن هناك حاج
لمثل تلك المواجهة وفي هذا الوقت بالذات. لقد فعل ذلك لكي يعاقب ايزابيلا
أيضاً مع كارلوس . ولكن كارلوس لم يسلبه اياها وانما نال ماهو حق
فعلاً. فقد أحبته ايزابيلا وهو ما يتضح من الطريقة التي تنظر وتتحدث به
اليه. ألا يرى ريكاردو أن من الظلم أن يعاقب امرأة لأنها اختارت احد
غيره؟

ولم يشأ ريكاردو أن يمكث أكثر لحضور الحفل الراقص الذي يستمر حتى
الساعات الأولى من الصباح وقال:

«قمنا برحلة طويلة وما زال علينا أن نقطع مسافة أخرى الى بيتنا.»

ونظر الى كارلوس في برود:

«كلا ستقيم هنا. هذا هو بيتنا الآن. لقد فزت باستانسيامندوزا ولا أريد أي
جزء منها.»

وفي الطريق المظلم الذي قطعته السيارة قالت ليان ل لريكاردو :

«هذه أسوأ تجربة مررت بها في حياتي.»

«وكذلك بالنسبة اليّ.»

«ولماذا فعلت ذلك اذاً؟»

«اوضحت لك السبب. كان ضروري أن أنهي الأمر معه وبهذه الطريقة يضط
كارلوس لقبول الأمر الواقع. اذ لا يوجد انسان يريد اثارة المتاعب في يوم
عرسه.»

«أعتقد أن كارلوس تصرف بطريقة ملائمة.»

«انك تبدين الاعجاب به.»

فردت عليه في تحدّ:

تصر ألا يجب أن أفعل ذلك.»

يمكنك أن تكني له ما تشائين من مشاعر ولكن ما أريده منك هو أن تعبّري عن
الاخلاص لي في الظاهر.»

«لا شك في هذا.»

«سترى، ان ستة أشهر هي فترة كافية.»

«اني سأكره هذا المكان.»

«وكيف لك أن تكرهي شيئاً لم تعرفي عنه سوى القليل جداً. ألم تقولي أنك
تريدين أن تعرفي أشياء عن بلادي. ونظراً للظروف الحالية فانني أفضل امتناعك
عن اجراء أية اتصالات مع أي شخص خارج بيتي لأنه اذا شك كارلوس في
حقيقة الأمر لن يتوانى عن استغلال ذلك.»

«وكيف؟ هل سيعرض عليّ مزيداً من المال لأرحل قبل انتهاء فترة الأشهر الستة؟
أشك انه يستطيع أن يتحمل هذا العبء الآن.»

أوقف ريكاردو السيارة فجأة وفي وجهه تعبير غير واضح وقال لها:«المبلغ
الذي عرضته عليك مقابل الخدمة التي ستؤدينها من مالي الخاص. كانت أمي
ثرية وتركت لي كل شيء، تحت الوصاية الى أن بلغت سن الخامسة والعشرين.
استانسيامندوزا تعني بالنسبة اليّ أكثر مما تعنيه من ناحية القيمة المالية...
وسيظل كارلوس يحصل على دخل من الاستانسيا ومدى الحياة.»

«لو تترك له أن يأخذه.»

«سوف يأخذ هذا الدخل... انك تبدين اهتماماً واضحاً بكارلوس هل تحسدين
ايزابيلا لأنها تحظى بعناية هذا الرجل الليلة.»

فاحمر وجهها في الظلام وهي تقول له:

«لا تكن مضحكاً.»

فأمسك بعنقها وأسفل ذقنها وأخذ يهز رأسها مما جعلها تصرخ في ألم وقال لها:

«اياك أن تقولي لي هذا الكلام مرة أخرى.»

وأضاف يقول في هدوء مقيت:

«انجذبت نحو كارلوس في الحال. لمست ذلك في عينيك.»

وجذبها نحوه بعنف وبلا أية عاطفة وهي لا تستطيع الفكاك من قبضته وعندما دفعها الى الكرسي بعيداً عنه شعرت بأنها قد جفت من أي شعور نحوه حتى من الكراهية ولم تستطع أن تنظر اليه عندما اوقف السيارة مرة أخرى فجأة وبعنف.

وعندما وصلا الى مزرعة مندوزا لاحظت أنها أكبر بكثير من المزرعة التي غادراها منذ حوالي عشرين دقيقة. وكانت الأشجار منتشرة فيها وبها الكثير من المباني التي تتلألأ داخلها الأنوار واصطحبها ريكاردو نحو باب المنزل الذي يؤدي الى قاعة فاخرة فيها أثاث ضخم ومدفأة تمتد من الأرض الى السقف. وقد زينت بأحجار مماثلة للأحجار الخارجية وهبطت سيدة عجوز على السلم وهي ترحب بمجيء ريكاردو . وقال ريكاردو لليان بالانكليزية.

«هذه هي إينيز رئيسة الخدم، عاشت مع أسرة مندوزا لأكثر من أربعين سنة.»

ثم قال لاينيز بالاسبانية.

«هذه زوجتي ليان . انها تتحدث بلغتنا قليلاً. وحيتها اينيز بجفاف وبدون أن تبتسم.»

وطلب منها ريكاردو اعداد الغرف الغربية، فسارعت بالصعود لتلبية طلبه وسأل ليان اذا كانت تفضل تناول مشروب أثناء الانتظار فطلبت فنجاناً من القهوة. وأعرب لها عن أسفه لأنه يجد نفسه مندفعاً للتحدث بالاسبانية بصورة أسرع بعد عودته الى بيته. فقالت له أن هذا أفضل لها فهي تستطيع أن تفهم قدراً اكبر من الكلام اذا قيل لها ببطء معقول. وقال لها بدون أن يفقد البرود:

«هذا سيجر المزيد من المتاعب عما لو تحدثت بالانكليزية.»

وجذبها من ذراعها مرة أخرى وصعد بها الى غرفة واسعة مفروشة بالسجاد الكثيف الفاخر. وفيها عدة أرائك وموائد منخفضة موزعة في أرجائها، وبعضها مطعم بالفضة والبعض الآخر محلى بأنواع مختلفة من الخشب. وتؤدي الأبواب

الزجاجية الواسعة الى شرفة مغطاة، في حين تؤدي القناطر الى الفناء المركزي.

وضغط ريكاردوا على زر الجرس قائلاً:

«كل الغرف في الطابق الأرضي تؤدي الى الفناء الذي تطل عليه غرف النوم المتعددة. وجرت العادة أن يتناول الضيوف الطعام في تلك الغرفة الفسيحة، فهي مركز البيت كله»

وأعطى ريكاردو أوامره الى الفتاة التي ردت على ندائه. وجلس على أريكة في مواجهة ليان وانتظرت ليان حتى أشعل سيكارا وقالت له:

«بيتك جميل يا ريكاردو .»

«تغير قليلاً منذ وفاة أمي. كان ذوقها يميل الى الخطوط البسيطة وظلت القاعة الخارجية وحدها محتفظة بالطابع الاسباني.»

وشد إنتباه ليان لوحة معلقة فوق المدفأة تمثل امرأة شابة لها الجمال الأسمر الوضاء نفسه الذي لمسته في إيزابيلا . وسألته:»

«هل هذه أمك؟»

«نعم، لقد رسمت لها تلك اللوحة بعد زواجها بوقت قصير.»

«كانت جميلة جداً.»

«نعم، كانت في الأربعين فقط من عمرها عندما توفيت.»

«وكم كان عمرك وقتئذ؟»

«تسعة عشر عاماً. وهي سن تكفي لأن يشعر المرء بوطأة الأزمات على القلب والعقل. كانت مندوزا استانسيا ثلث حجمها الحالي قبل أن يتم ضمها الى مزرعة أسرة أمي.»

وتساءلت ليان اذا كان يقصد بذلك أن أباه تزوج من أمه لهذا الغرض وحده. هذا سوف يفسر الكثير، وخاصة فيما يتعلق باصراره على عدم السماح لريكاردو بأن يتولى الاشراف على الأرض التي هي من حقه بالوراثة عن الأبوين.

وسألته:

«ألا يوجد أحد من أقرباء أمك على قيد الحياة.»

«أختان، وهما خالتاي، وتعيش احداهما في بوينس أيرس.»

ومن دون حاجة لأن يفصح لها أدركت ليان أنهما يحصلان على دخل من الاستانسيا

وأحضرت الفتاة جوانيتا القهوة المرة وهي تبتسم فحيتها ليان سعيدة ا[ذ] رأت مودة في وجهها.

واحتست نصف الفنجان ونظرت الى ريكاردو قائلة:

«آسفة لما انفلت مني من حديث فلم أكن أفهم كل الظروف المحيطة ...»

فقال في تهكم:

«وهل فهمت الآن؟»

«أفضل من ذي قبل. ولو أنك شرحت لي هذا كله من قبل...»

«قلت لك فقط ما اعتبرته ضرورياً لأجعلك تخلصين لاتفاقنا. ولا تتوقعي مني أن أعتذر لك عما حدث بيننا فأنت تستحقين هذا. ولو أنك أثرتني ودفعتني الى العنف مرة أخرى سأجد وسائل أخرى للتنفيس عن نفسي.»

«لن يتكرر هذا مرة أخرى.»

«وأنا واثق من هذا.»

وحضرت إينيز لتخبره بأن الغرف جاهزة.

فقال لليان :

«ستعرفك إينيز بمكان نومك عندما تفرغين من تناول فنجانك.»

فسارعت ليان بابتلاع القهوة غير عابئة بما أحدثته بسخونتها الشديدة في شفتيها. وقالت انها جاهزة، فصعدت خلف إينيز التي اصطحبتها بدون أن تنطق بكلمة واحدة الى غرفة لها حمام خاص. وهي غرفة فاخرة واسعة ذات مظهر حديث وفيها مدفأة.

وفتحت ليان باب الغرفة المطل على الشرفة لتنتشق رائحة الزهور المنتشرة حول البيت الذي تحيط به مختلف النباتات.

انه كالواحة او كجزيرة في بحر لا نهاية له من العشب. وهي قد تعتاد على الحياة في أرض ريكاردو ولكنها لن تتعلم أبدا كيف تحبها. والواقع أنها لا تحتاج الى هذا اكثر مما تحتاج لأن تحب ريكاردو . ان هذا الزواج ليس بزواج حقيقي. وعليها أن تظل ـ تردد ـ لنفسها هذا: انه ليس حقيقة.

٤ ـ السور المثقوب

احتاجت ليان الى أسبوع لتعتاد على مناظر الآفاق المتشابهة التي لاتتغير والتي تحيط بأرض مندوزا من ثلاثة جوانب . ولم يعوضها بعض الشيء سوى مناظر سلسلة تلال سييرا دي تانديل الجنوبية ذات الصخور الجرانيتية التي تشبه كثيراً صخور بلادها انكلترا. بني المسكن من تلك الصخور التي أحضرها جد ريكاردو من تلال سييرا منذ خمسين عاماً.

وذات صباح أبلغ ريكاردو ليان أنه نادراً ما كانت تخلو المزرعة من ستة ضيوف على الأقل ، ويتذكر عندما كان طفلا الزوار يفدون عليها بملابسهم الجميلة في المناسبات المختلفة ويستمعون الى الموسيقى . وقال :

«كانت هناك مناسبات عديدة قبل أن تمرض أمي»

«وهل استغرق مرضها فترة طويلة ؟»

وتبدل وجه ريكاردو وقال لها أنها ظلت مريضة لفترة طويلة جداً. ثم غير مجرى الحديث وسألها:

«ما مدى تقدمك في تعلّم ركوب الخيل؟»

وقبلت ليان هذا التغيير في مجرى الحديث بدون أن تبدي أي رد فعل، لذلك وأجابته:

«ان خوسيه يجعلني أركب الحصان بدون أن أمسك اللجام حتى أعتاد على حفظ توازني.»

وابتسمت قليلا وأضافت قائلة :

«من الغريب أن كبير عمالك لايتحدث الانكليزية على الاطلاق وبرغم ذلك لايجد صعوبة في التعبير عن المعنى الذي يريده. انه بارع في الركوب.»

ورد عليها ريكاردو بابتسامة متحفظة وقال:

«عمل خوسيه هو ركوب الخيل»

«ولكن تحت امرتك.»

«نعم تحت امرتي وأمرة مديري الاقسام المختلفة.»

ونظر اليها في تفحص وهي تقف في الفناء تحت أشعة الشمس بردائها المكون من الجينز الأزرق والقميص القطني المخطط وأضاف :

«ولكن يجب عليك أن تلبسي ملابس أكثر ملاءمة لأنك اذا ركبت الخيل لمسافة طويلة بتلك الملابس فأنها سوف تبلى نتيجة احتكاكها بالسرج الجلدي.»

«أعارني خوسيه فراء شاة لأضعه فوق السرج وهو مريح جداً.»

«فراء الشياه لايليق بك.»

قالها في حدة وأضاف :

«لائق به، لو أنك أعطيتني مقاسات جسمك لأحضرت لك بعض السراويل والأحذية الملائمة لذلك.»

وكان ريكاردو نفسه يرتدي بنطلوناً جيلا مخصصا لركوب الخيل وحذاء خفيفاً طويلا لامعا كشعره الأسود اللامع تحت أشعة الشمس .

وعندما سألته اذا كان سيخرج أومأ برأسه وقال:

«ذاهب لأرقب عملية وشم الماشية بالعلامة التجارية. فالقطيع يجب أن يكون جاهزا للشحن في نهاية الأسبوع.»

«وهل المكان بعيد؟»

«محطة الشحن بالسكك الحديدية تبعد مسافة ميلين ، هل ترغبين في مرافقتي.»

«نعم بالتأكيد.»

لقد أرادت ليان أن تذهب الى أي مكان على سبيل التغيير حتى ولو كان معنى ذلك أنها ستمضي الوقت مع ريكاردو . انه الشخص الوحيد الذي يمكنها

التحدث اليه ببضع كلمات انكليزية . ورغم أنها تتقدم في تعلم اللغة الأسبانية الا أنه مازال أمامها الكثير .

وخلال الأسبوع الأخير سارت الأمور في نمط منسجم. كانا يلتقيان عند تناول وجبات الطعام ويلتقيان أيضا خلال النهار ، الا أن ريكاردو كان يمضي معظم الوقت بعيداً عنها حتى يتجنب البقاء معها لفترة طويلة. ولم تكن تلومه فقد كانت تعلم اضطراره للعمل في الاشراف على مزرعة منتوزا . والعرض الذي قدمه اليها أصبح الآن حقاً مسلياً به لريكاردو ولا يمكنها أن ترفضه.

أحضر لها ريكاردو قبعة تشبه قبعته التي قال من قبل أنها كانت ملكاً لأمه. وهي محشوة من أعلاها للوقاية من الصدمات عند السقوط . مثلما تصورت، اذ يبدو أنه لايسقط من فوق الخيل في تلك المناطق سوى النساء.

وتوجها سوياً الى اصطبل الخيل القريب من المنزل .

أثناء اعداد السرج على ظهر الحصان الذي ستركبه انتهزت الفرصة لتلقي نظرة أخرى على واجهة المنزل وهي لاتصدق أنه منزلها ولو لفترة محددة.

ان بيتاً كبيت منتوزا يحتاج الى أطفال لخلق جو عائلي.هذا مافكرت فيه ليان وهي تحس بعضلات صدرها تنقبض قليلا. ولكن لن يكون في هذا البيت أطفال بالمرة لأن ريكاردو لايرغب في الزواج الدائم. وعندما ترحل سيعيش وحيداً الا من الخدم. وسوف تتولى اينيز بلا شك رعايته الا أنها عجوز لم تتعود على التحدث كثيراً. فالى من اذاً يلجأ رجل في مثل ذكائه ومعلوماته من أجل التنشيط الذهني خلال السنوات المقبلة. مهما كانت الاختلافات بينهما فقد أتاحت له على الأقل قدرا من التنشيط الذهني من خلال مسائل ناقشاها أثناء الفترات القصيرة التي أمضياها معا.

وأحضر السائس أنثى الخيل التي اعتادت ليان أن تتدرب عليها وأوقفها الى جانب الحصان الأسود الضخم الذي يركبه ريكاردو عادة ولاحظ ريكاردو أن أنثى الخيل تصدر عنها حركات عصبية عنيفة فنهر السائس وطلب منه احضار غيرها. وقال لليان أنها لو ركبتها لكان في ذلك خطر مؤكد

على حياتها وأضاف :

«ألا يعتقدون أن الحصان الخاص بي صعب جداً في قيادته؟»

«ولماذا تركبه مادام صعباً في قيادته الى هذا الحد؟»

قالتها ليان وهي تخفي اضطرابها وهي لاتعرف أي حصان آخر سوف تركبه بدلا من ذلك الذي أعيد الى الاصطبل. فقال لها أن السبب في ذلك هو أن الحصان الخطير يجعله ينشغل به ليس فقط بيديه اللتين تمسكان بزمامه بل أيضا بعقله.

ان أحدا لايمكنه أن يسيطر على هذا الحصان والتفاهم والصلة القوية التي تربط بين الرجل والحيوان لاتمنع ميل الحيوان الى طبيعته وحياتك كانت ستتعرض للخطر الشديد.

وأطلقت ضحكة مصطنعة وهي تقول:

«كنت ستهب لانقاذي بلاشك.»

ولاحظت أنه يرفع أحد حاجبيه وهو يقول:

«أواثقة أنت من هذا؟»

قالتها بلهجة جعلتها ترد عليه باندفاع:

«نعم فأنت تريدني أن أظل على قيد الحياة للوفاء بشروط وصية أبيك أليس كذلك؟»

ضغط على شفتيه وهو يقول:

«ليس بالضرورة، فالشيء الوحيد الذي يؤدي الى الاخلال بشروط الوصية هو تعمدك الرحيل قبل انقضاء الفترة المحددة. ويمكنني أن أؤكد لك أنك لن ترحلي. هيا ان حصانك جاهز.»

وتبعته ليان الى حيث يقف الحصانان في انتظارهما وقد ارتسم على شفتيها تعبير ساخر. كانت ترغب في ذلك، ولكن ريكاردو ليس الرجل الذي يجعلها تفلت بفعلتها بدون أن ينزل بها العقاب. كالميتة ليس لمدة ستة أشهر فقط وانما الى الأبد.

خصصّ لها هذه المرة حصاناً ذكراً. وساعدها ريكاردو لتمتطي صهوته في حين أخذت عينا الحصان تدوران نحوها. وأخذا ريكاردو يدربها على الطريقة الصحيحة لركوب الخيل وكيفية التحكم في اللجام والتعامل مع الحصان مما أسعدها كثيراً وجعلها تقول له:

«لا أذكر أنني ركبت من قبل حصاناً مثل هذا.»

ورد عليها في سخرية :

«أهملوا تعليمك ياصغيرتي... ولقد بدّد خوسيه وقته بهذا البطء في تدريبك.»

ثم سألها فجأة :

«ألم يسبق لأحد أن أحبك ؟»

«كلا لم يحدث أبداً.»

وسألته وهي تتحاشى النظر اليه وقد أخذت نبضات قلبها تسرع:

«وهل كان هذا يسعدني أكثر؟»

«كان سيتوقف على الرجل نفسه. وسيحتاج اولا الى اخضاعك قبل أن يبدأ في حبك. وليس بمقدور كل الرجال القيام بهذا.»

واعتقدت ليان، أثناء موجة سريعة من الانفعالات تملكتها، أن في مقدور ريكاردو أن يفعل هذا. اذ أثبت فعلا مقدرته الفائقة على ذلك ليلة أحضرها الى مزرعة مندوزا. ولكنه فعل هذا في فورة من مشاعر الغضب وليس عن رغبة فيها. سألته بسرعة :

«أين تذهب كل تلك المياه الغزيرة. أمطرت السماء ثلاث مرات في الأسبوع الماضي ولم يبق منها شيء فوق الأرض؟»

«هناك عدد ضئيل من المنخفضات العميقة التي تحتفظ بالمياه اكثر من عدة ساعات. فالأرض اسفنجية مما يجعل المياه تتسرب بسرعة من خلالها. وهذا هو السبب الذي يجعلنا في حاجة الى استخدام الخزانات لحفظها. أما فوق تلال سييرا فالأمر يختلف لأنك ستجدين هناك المجاري المائية والبحيرات نظرا لأن التربة الصخرية يمكنها الاحتفاظ بالمياه على سطح الأرض.»

ونظرت ليان الى الأفق البعيد وسألته:

«هل سبق لك أن ذهبت الى تلال سييرا؟»

«ذهبت اليها كثير.. ولكنني لم أتوجه اليها منذ بعض الوقت.»

وقالت ليان لنفسها أن ريكاردو وربما لايريد الابتعاد عن أرض مندوزا ! الفترة تتيح لكارلوس أن يحكم قبضته عليها؟ وسألته بصوت مرتفع:

«هل تسمح لي بزيارة هذه المنطقة ؟ لدي رغبة في ذلك.»

«لايمكنك الذهاب وحدك. فالتلال قد تبدو لك قريبة، ولكنك تحتاجين الى يوم كامل للوصول اليها على ظهر حصان.»

«يمكنني أن أذهب اليها بالسيارة.»

«ان ردي مازال هو الرفض القاطع، لأنه من السهل أن تضلي الطريق هناك ، والسيارة لها قدرة محدودة على اختراق الممرات. لكي تتمكني من مشاهدة تلال سييرا يجب أن تذهبي اليها على ظهر الحصان.»

وأطرق هنيهة وهو مسترخ على ظهر حصانه وأضاف :

«ربما نقوم برحلة قصيرة تستغرق يومين أو ثلاثة الى تلال سييرا بعد أن تنتهي من عملية شحن الخراف.»

ورمقته بسرعة وسألته:

«هل سنقوم بهذه الرحلة نحن فقط؟»

فرد عليها بجفاف :

«ولم لا؟ إننا أمام العالم رجل وزوجته. ومن الذي يدري أو يهتم بما اذا كنا نبيت في خيمه واحدة او خيمتين؟»

من الذي يهتم فعلا؟ وخلال موجة من الانفعالات التي انتابتها استحثت الحصان على الهرولة في حين انتصبت واقفة على قدميها وهي على ظهره. فأمرها ريكاردو في حدة أن تجلس وقال لها أنها ليست في لندن، وأن الوقوف أثناء هرولة الحصان لايحدث الا في العروض الاستعراضية وعليها أن تتواءم مع الطريقة الأرجنتينية في ركوب الخيل، وعرفت منه أنه سبق له أن زار لندن

وسألته اذا كان، غاضباً فأجابها بأنه غاضب الى حدّ ما لأنها تتبع أسلوبا يثير
غضبه فأعربت له عن أسفها. ولكنه قال لها:

«كلا انك لست بآسفة. وان كان هناك ماتأسفين له فهو طلبك مني أن أساعدك
تلك الليلة في ملهى ريوس.»

وقالت له وهي لاتنكر هذا:

«لم يكن أمامي أي بديل آخر.»

«هناك بديل دائماً ولكنني أعتقد أنه لم يكن بمقدورك ، في مثل هذه الحالة ، ايجاد
بديل أفضل.»

«ومن المؤكد أنه لم يكن سيدرّ عليّ مثل هذا الربح الوفير.»

وكان الحصانان قريبين من بعضهما الى حدّ جعله يمسك ذراعها بقوة فانحشرت
ساقها بين الحصانين مما جعلها تتأوه وقال لها ريكاردو:

«ستذهبين بعيداً جداً يوماً ما. انني أحتاج اليك ولكنني لم أقم بشرائك.»

وكان ليان تتألم ولكنها رفضت الاستسلام وسألته:

«وبماذا تصف هذا اذن ؟»

«انه تعويض عن ضياع وقتك وفرصتك.»

«انك تجادل في أمور تافهة.»

ورمقها في حدة وهو يقول :

«كلا... ولو أنني اشتريتك لطالبت بالحصول الكامل على ممتلكاتي في ليلة
عرسنا.»

«وهل تضيّع حقك في فسخ عقد الزواج؟»

«هناك وسائل أخرى لفسخ العقد فأحرصي على ألا تضطريني الى البحث عن
احدى تلك الوسائل.»

فحاولت أن ترطب حلقها الذي جف فجأة وصاحت فيه:

«ريكاردو...»

«قد يفيدك أن تفهمي معنى الخضوع للرجل وقد تحترمينه عندئذ.»

«كنت سأكرهك. لو لمستني...»

«انني ألمسك الآن . تقصدين لو أخذتك عنوة . ماذا كنت ستفعلين اذاً؟»

«سأحاول وسترى.»

نظرت اليه نظرة متهورة ولكنها أحست بسرعة أنها أخطأت عندما رأت
تعبيراته تتغير وسألها:

«هل تتحديننى ؟»

فقالت وقد جف حلقها مرة أخرى وهي تتجنب النظر الى وجهه:

«كلا انني لم أكن أعني ذلك.»

فقال لها في سخرية:

«حسناً . ولكن مازالت هناك ظلال لكلماتك . تضايقني . فهل تريدين سحب
أي كلام آخر قلته منذ لحظات؟»

«أظن ذلك .»

وأمسك بها وهزها بعنف مما جعل حصانها يتقدم خطوتين فاستحث حصانه هو
الآخر على التقدم الى الأمام ليسيرا الى جواره وقال لها بدون أن يتركها:

«من الأفضل لك أن تفعلي الآن.»

«حسناً ، ان أحدا لم يشترني .»

وفعلت أقصى ماتستطيع لكي تتمسك بما تبقى لها من كبرياء ورفعت رأسها
في تحدّ وهي تضيف:

«هل استؤجرت ، هل هذا أفضل؟»

ونظر لحظات الى وجهها المتجهم وقال لها انها تحاول تسوية الموقف في تأفف ،
ثم تركها فأخذت تدلك أعضاءها التي تؤلمها. وسألها:

«هل مازلت ترغبين في مشاهدة الماشية وهي توشم بالعلامة التجارية.»

فقالت في كآبة :

«بشرط ألا يتمّ وشمي أنا أيضا.»

فابتسم قائلا :

«ستحتاجين الى وشمك أكثر من مرة لكي تقتنعي، ولكنني مصمم على أن أقنعك.»

وبينما أخذ يتقدم بحصانه حدثتها نفسها بأنه مهما كانت تهديداته لها فانها ستظل في مأمن منه لأنه لايمكن الغاء الزواج اذا دخل بها وأية وسيلة أخرى يلجأ اليها لفسخ الزواج ستكون أكثر صعوبة. ولهذا فأن أي قدر من الاستفزاز لن ينسيه مصالحه.

ووصلا الى محطة الشحن بالسكك الحديدية وهناك رأت قطعانا كبيرة من الماشية محتجزة داخل أسوار مرتفعة من الأسلاك ويتم وشمها بالنار بالعلامة التجارية لمزرعة مندوزا. وخرج من وسط فريق العمل أحد العاملين وأسرع نحو سيده ريكاردو، بعدما حيّا ليان التي ردّت عليه التحية بمثلها، وأخذ يتحدث معه في كلمات فهمت منها أن الأمر يتعلق بالخراف والسور. وتجهّم وجه ريكاردو وقال لها أنهما سيعودان في الحال. وانتظرت حتى تمّ اعداد حصانيهما فركباها ثم سألته اذا كانت هناك مشكلة. فقال أنه سيحدثها عن ذلك فيما بعد، وأن المشكلة كان يمكن أن تحدث لو لم يعد خوسيه العده لمعالجة الأمر. وأضاف قوله:

«التحمت بعض خراف مزرعة ريخا السور الشرقي لأرض مندوزا. وتمكن خوسيه من اعادة تلك الخراف وسد الثغرة في السور.»

«فهمت، لم يحدث أي ضرر اذاً.»

ولكن تعبيرات وجهه ظلت متجهمة أضاف:

«خوسيه يعتقد أن الثغرة حدثت في السور عن عمد.»

وسألته بسرعة :

«ومن يمكنه أن يفعل هذا؟»

«ربما يكون كارلوس هو الذي قام بذلك فهو يعرف مدى بغضي لوجود الخراف في أرض مندوزا.»

«ولكنه سيكون تصرفاً لا جدوى من ورائه. لأنه مع تلك المساحات الممتدة من

الأرض سيتطلب الأمر عدة أشهر حتى تستطيع مئات الرؤوس من الضأن احداث أي أثر محسوس.»

فرد عليها بصير نافذ :

«ان الأمر يختلف. فرأس واحدة أو ألف رأس . كل هذا لايهم وحرصت ليان على التحدث بنبرة حيادية وهي تقول له:

«انك تقصد أن المسألة تتعلق بالمبدأ نفسه، أليس كذلك؟»

«هذا صحيح . فان فرنسيسكو ريخا يستطيع أن يستخدم أرضه كيفما يشاء ولكنني لن أسمح لأي من خرافه بدخول أرض مندوزا.»

«ولكن ربما تكون قد دخلت عرضاً. وربما يكون خوسيه أخطأ في تصوّره.»

«اذا كان خوسيه يعتقد أن أسلاك السور قطعت فهناك قليل من الشك في انها لم تنقطع. ولمصلحة من اذاً تفسرين هذا الشك ؟ ألمصلحة كارلوس؟»

فعضت شفتها وقالت :

«لا أرى أية مصلحة يمكنه أن يجنيها من وراء ذلك.»

«لن يجني شيئاً . ولكن سيكفي كارلوس أنه نجح في انتهاك حرمة أرضي.»

وواصلا شقّ طريقهما في صمت قبل أن تسأله ليان:

«ما الذي سيحدث الآن؟»

فهز كتفيه باستخفاف وقال :

«سأعيدك الى البيت ثم أستقل سيارة وأوجه تحذيراً الى أخي غير الشقيق.»

«أي تحذير ؟»

«انه تحذير لن يخطىء فهم معناه . ولو تكرر ذلك مرة أخرى فسيتم اطلاق النار على أغنامه وارسالها اليه ميتة.»

فالتقطت ليان أنفاسها وقالت له :

«كلا . إنك لن تفعل ذلك.»

«بل سأفعل .»

قالها بلهجة حازمة لاتراجع فيها واستحث حصانه على التقدم ووجهه متجهم.

وأدركت أنها ضايقته بدفاعها عن كارلوس ولكن كان لابد أن يأخذ أحد جانب التعقل في هذه المسألة.

ولم يتحدثا بعد ذلك الآ لماماً حتى وصلا البيت وما ان هبطا من فوق حصانيهما حتى بادرت ليان بقولها:

«أرجو أن تأخذني معك.»

«كلا، ستنتظرين هنا الى أن أعود.»

وأدركت من نبرة صوته أنه لاجدوى من مجادلته. وراقبته وهي تشعر أنها لاحول لها ولا قوة وهو يتحرك بالسيارة نحو بوابة المنزل ويبتعد.

٥ - ظهور ابن البلد

تناولت ليان طعام الغداء وحدها وهي جالسة عند أحد أطراف المائدة الكبيرة. وقدمت لها خوانيتا القهوة فشكرتها بالاسبانية وهي تأمل كسب صداقتها. فالخدم في هذا المنزل يعاملون معاملة حسنة لكن قواعد البروتوكول تطبق بصرامة. ولم يكن أمامها ما تفعله سوى انتظار عودة ريكاردو. ولمحت سيارة ريكاردو تقترب وهي جالسة خارج المنزل بالقرب من القوس الحجري التي لا بدّ أن تمر تحته السيارة. وتوقف ريكاردو وقال لها وهو يرفع حاجبيه:

«أظن أن المكان ليس مريحاً في الداخل مما جعلك تجلسين في الخارج هكذا كالشريدة؟»

فردت عليه وهي تهبّ واقفة:

«شعرت بالسأم، ولم يترك لي الخدم شيئاً اعمله.»

وحاولت أن تستكشف من وجهه ما حدث لكن بدون جدوى فسألته:

«كيف سارت الأمور؟»

«وكيف تتوقعينها أن تسير؟ لم يحدث عراك، إن كان هذا ما كنت تأملين في سماعه.»

فهزت رأسها باحتجاج وقالت:

«انني لا اريد تشوب أي شجار بالمرة بينك وبين كارلوس، وما الداعي لأن تصبح لديّ مثل تلك الرغبة.»

«ربما لازالة السأم عنك. فالمنازعات العائلية هي عادة مصدر ترفيه لمن لا شأن لهم

بها غير أن كارلوس ليس من العائلة بالمعنى الحقيقي للكلمة كما تعتقدين. إنه ثمرة الغرام... أليس هذا تعبيراً مهذباً؟»

وأخذت ملامحه تزداد قتامة وقال:

«الشهوة هي التعبير الأكثر ملاءمة. وليس هذا بالموضوع الذي سأناقشه معك هنا. تعالي الى السيارة.»

وقالت في لهجة احتجاج:

«البيت ليس بعيداً عن هذا المكان ويمكنني أن أذهب اليه سيراً على الأقدام.»

ورمقها بعض الوقت فتنهدت وتحركت لاطاعته. وأحست وهي تشعر بالدهشة، بأنها هي وريكاردو يقفان عند طرفي نقيض. لم تكن تقصد بالضبط الكلام الذي قالته عن كارلوس . لأن هذا كان معناه ذر الملح فوق جراح من يتطلع الى الانتقام الا أن شيئاً في نفسها منعها من تقديم اعتذار كامل لأن ريكاردو لم يكن على حق تماماً في هذا الموقف.

وسألته عندما وصلا الى المنزل:

«هل تناولت طعامك. أردت انتظارك ولكن إينيز أصرّت على أن أتناول الطعام في موعده المحدد.»

«إينيز على حق لأنها لم تكن تعلم متى أعود.»

ودار حول السيارة وفتح لها الباب لتنزل وهو يقول لها:

«بدأت تتعلمين قبول المجاملات الصغيرة المنتظرة من الرجل تجاه المرأة. وكنت منذ أيام قلائل فقط تتركين مقعدك في السيارة حتى قبل أن أترك نفسي مقعدي.»

«منذ أيام قلائل فقط كانت لدي روح المبادرة ولكن يبدو أنك أضعفت فيّ تلك الروح أيضا.»

فضاقت عيناه وهو ينظر اليها من ارتفاع ست بوصات هو فرق الطول بينهما ويسألها:

«وأية صفات أخرى فقدتها منذ مجيئك الى أرض مندوزا ؟»

فقالت وهي تزيح خصلة من شعرها عن وجهها وتتجنب النظر اليه:

«لا أعرف كنت أتكلم لمجرد الكلام، فإنك تجعلني أقول أشياء لا أعنيها»

«لا أحد يفعل ذلك، ولكنني أسلّم بأنك لا تقولين دائماً ما تعنينه.»

وسار نحو المنزل لينهي الكلام في هذا الموضوع وتركها تسير وراءه وهي متخلفة بخطوة عما يعتقد أنه مكانها الصحيح، وذلك حسب ما تصورته. وفكرت فيما قاله وتساءلت بينها وبين نفسها عما قصدته من وراء تلك الملاحظة المبهمة. إن شيئاً عميقاً بداخلها حفزها الى هذا الكلام، انه شيء غريزي لا سيطرة لها عليه وازاح عقلها قليلاً لئلا يحجب عواطفها تماماً.

وسارعت إينيز عندما رأت سيدها تستقبله، وهي عادة تتصرف بروح متعلقة في حضور ريكاردو. وعندما سألته عن أي طلبات يريدها أجابها انه تناول طعامه وأنه يريد منها ـ اعداد القهوة ليتناولها في الخلاء. وأوشكت ليان أن تقول أنها تناولت القهوة فعلاً. ولكنها سكتت وأحست بأنه لا بأس من تناول القهوة مرة أخرى خاصة وأن ريكاردو في مثل حالته هذه يحتاج الى من يؤنسه ويرفّه عنه. وأرادت ليان أن تعرف ماذا جرى في منزل ريغا.

كانت في الفناء ظلال بسيطة كالعادة في مثل هذا الوقت من النهار. ورأت ليان المزارع المسن انريكو يمر ببطء وقد انحنى ظهره بفعل تقدم السن وبسبب العمل الدائم والدائب في المزرعة. فالمنطقة الجميلة المحيطة بالمنزل ثمرة جهود هذا الرجل الذي سيخلفه ابنه من بعده في أداء المهمة نفسها. فأولئك الذين يخدمون في المزرعة يعتبرونها بيتهم تماماً مثل أي فرد من عائلة مندوزا.

وتقيم داخل المزرعة عائلات قانعة بحياتها التي تفتقر لأي شيء يقرب من الترف.

ووجدت نفسها تسأله فجأة:

«هل رأيت إيزابيلا؟»

ورد عليها وهو يخفي مشاعره:

«نعم رأيتها وهي تبلغك تحياتها وتمنياتها بأن تتكيفي مع الأشياء الكثيرة التي تفرق بين هذه البلاد وبلادك.»

«إيزابيلا لها بصيرة نافذة.»

فرد عليها بجفاف:

«انها امرأة.»

فرمقته بنظرة سريعة وهي تقول:

«ألا توافق على أن بيننا شيئاً مشتركاً؟»

«بغض النظر عن اختلاف الثقافتين تشتركان في الغرائز الأساسية وهو ما تـ
من تصرفات كل منكما.»

«ان كان ما فهمته صحيحاً فانك تعني بكلامك تركيز الاهتمام على المـ
الرئيسي. وهل تظن ان إيزابيلا لم تتزوج من كارلوس الا بسبب اعتقاد
بأنه قد يمتلك الضيعة؟ ان كان هذا صحيحاً فانها كانت ستحقق النتيجة نفـ
بزواجها منك.»

فقال في حدة:

«ان أحداً لم يطلب منها الزواج مني. وكفى كلاماً في هذا الموضوع.»

وأحست بأنها قالت أكثر من اللازم. فلقد أحب ريكاردو إيزابيلا وفقد
عندما تزوجت من أخيه غير الشقيق، وكان على وشك أن يفقد معها الاستا
أيضاً وهو لا يريد أن يذكره أحد بذلك. وبردت القهوة في فنجانها لكنها تناولتـ
برغم ذلك وهي تشعر بالجوالمتوتر الذي يحيط بها. وأحست بالمائدة الممتدة تر
للحاجز الذي يفصل بينهما. وخامرتها فجأة رغبة في أن تلمس يده السمراء التي
يضعها على المائدة. فهذا الرجل زوجها ورغم ذلك لا تحتل أي مكان في حيا
وتساءلت ما يمكن أن يثير الحيوية فيه. وتمالكت نفسها فجأة،هي معتوهة؟ ان آخر
شيء تريده هو أن تقيم معه علاقة عاطفية من أي نوع. وكسرت حدة السكو
لتسأله:

«هل ستذهب مع الماشية الى لابلاتا.»

فأجابها بأنه لن يذهب اليها ولكنه سيلتقي مع المشترين في بلدة سانتـ
الأسبوع المقبل لتعديل شروط التعاقد.

سألته

«هل يمكنني أن أذهب معك الى سانتيبا حيث أقوم بجولة في أرجاء البلدة أثناء انشغالك بالعمل مع هؤلاء الناس ؟»

«إن شئت الذهاب فاعلمي أن اولئك الذين يجعلون أنفسهم عرضة للأهانات والمضايقات يجب ألا يدهشوا عندما يتعرضون لذلك. إنني أتصور إمكان تعرضك لحالة لا تحتمل.»

«الأمر يختلف فانني سأخرج في ضوء النهار.»

«وتعرضين نفسك أمام أنظار الجميع وأنت تختالين وتتباهين بلون بشرتك.»

ردت في حدة:

«إنني لا أختال.»

«قد يكون هذا صحيحا من الناحية الافتراضية، ولكنك تجتذبين الأنظار اليك... وأنت في حاجة الى رجل لحمايتك ولن أكون موجوداً معك عندئذ. سوف أصحبك الى سانتيبانا عندما تتم الصفقة، ولكن اثناء ذلك عليك أن تفعلي ما أطلبه منك وأن تمكثي في المنزل.»

فقالت في حرارة:

«هذا ليس بيتي، بل انني لا أمارس حريتي حتى كضيف !»

فهز كتفيه بلا مبالاة وقال:

«الحرية تعني اكثر من مجرد القدرة على التجول في أي وقت يشاء المرء. اذهبي الآن لأخذ قيلولة.»

«لايمكنني النوم في منتصف النهار.»

«لا داعي لأن تنامي. يكفي أن تأخذي قسطاً من الراحة.»

«إن أحداً لا يذهب الى الفراش في منتصف النهار بسبب الحر، وهو ما يحدث أيضاً في انكلترا.»

فرمقها بنظرة طويلة وقال:

«أتريدين مضايقتي. اننا نقترب من نهاية الشهور الحارة هنا في سهول بامبا.

وفي انكلترا يندر أن يأتي يومان متعاقبان من الحر الشديد خلال فصـ
الصيف المعتادة، والعمل هنا يبدأ مبكراً جداً عن بداية ساعات العمل
المحلات والمكاتب في بلادكم. والاغفاءة لا تعني الاستغراق في النوم وانما الهـ
منها اعادة النشاط الى الجسم والذهن عندما يصيبهما الارهاق الشديد.»

وأطرق هنيهة ثم قال:

«انني أصر على ضرورة التزامك بعادات بيتنا والبقاء في غرفتك حتى السا
الرابعة.»

ونظرت اليه وهو يرمقها بدون أن تخفي امتعاضها وقالت:

«أظنك تعني أن من الخير لي أن أفعل هذا.»

«نعم. لا بد من ذلك.»

«ولكن هذه القاعدة لا تسري عليك بطبيعة الحال.»

فاشتدت نظراته صرامة وقال:

«أنا سيد نفسي. فهل تفعلين ما يطلب منك أو أحملك...؟»

وأدركت ليان أنه يريدها أن تتركه الآن فنهضت وتركته بدون أن تبد
مزيداً من الاحتجاج. ودلفت الى غرفتها ذات الضوء الخافت المريح وراحت تفكر
يمكن أن يفعله ريكاردو خلال الساعة المقبلة. هل يقرأ أم يجلس ليفكر. وهـ
صحيح أنهما قد يمضيان فترة بعد الظهر سوياً يتحدثان حديث الأصدقاء، أ
يتبادلان الحب.. انها تعتقد أن ريكاردو كان سيصبح رجلاً آخر مع امرأة يحبها
كان سيدلها ويحميها ويتملكها بكل ما في الكلمة من معنى. انها ستصبح جز
منه.

وحاولت أن تخلص عقلها وقلبها من تلك الأفكار. فريكاردو لا يستطيع أ
يحبها، وهي لا تريده أن يفعل ذلك. وليس هناك شيء يمكنه أن يجمعها على وفاق

ودعاها ريكاردو لتصحبه مرة أخرى بعد يومين الى محطة شحن الماشية
بالسكك الحديدية فقبلت دعوته بترحيب حذر. واستيقظت في الصباح البا
والجو مبلل بالرطوبة المحببة. انه أفضل وقت على الاطلاق لركوب الخيل عـ

حول بامبا ، فالجو منعش ونقي. أصبح ركوب الخيل هوايتها المفضلة لقضاء وقت الفراغ. ركبت العديد من الخيول ولكنها أحبت الحصان الذي ركبته لأول مرة واسم هذا الحصان بالاسبانية هو روخو نسبة الى لون شعره البني المائل للاحرار ولم يقم أحد بركوب هذه الفرس منذ أن أبدت اهتمامها بها فهل كان ذلك شيئاً عرضياً أم مدبراً، هذا ما ستحاول اكتشافه.

وأخذ ريكاردو ينظر اليها وهو يبتسم اثناء مشاهدتها لعملية شحن الماشية في عربات السكك الحديدية. كانت ترتدي سروالاً مخصصاً لركوب الخيل كان يخص والدته وهو بغير شك اكثر ملاءمة من السروال الجينز الذي كانت ترتديه من قبل كما ارتدت قميصاً قامت بثني كميه وتدلت خصلات من شعرها من تحت القبعة وأخذت تتطاير مع النسيم لتكشف عن وجه خال من المساحيق فيما عدا لمسة خفيفة وردية من أحمر الشفاه.

وقال لها ريكاردو فجأة:

«تغيرت. انك تختلفين كثيراً عن الفتاة التي رأيتها ذات ليلة لأول مرة في ملهى ريفرس.»

فسألته باستخفاف:

«هل تغيرّت الى الأحسن أم الأسوأ؟»

فضحك وقال:

«الى الأحسن طبعاً، والا لما قلت لك هذا. ان أي رجل لا يبدي رأيه في شكل امرأة ما لم يكن مجاملاً لها.»

«لا يفكر كل الرجال بالطريقة التي تفكر بها»

«لأن كل الرجال ليسوا أرجنتينيين. وقد تظنين أن اللاتينيين لهم محاسنهم في هذا المجال.»

«أعتقد اعتقاداً جازماً بأن اللاتيني يعرف طريقه الى قلب المرأة.»

وكادت تعض لسانها وهي تراه يرفع حاجبه في بطء ويقول لها:

«ان كان لها قلب فانه قد يصل اليه.»

وقفت ليان ذلك. كانت كلما نظرت اليه تشعر بالتوتر يعتريها. وكانت الأوقات التي تستطيع فيها نسيان طبيعة علاقتهما قليلة ومتباعدة في حين اعتادت أن تتخيل نفسها وقد بلغت نهاية فترة الستة أشهر وهي تتساءل عما سيكون عليه شعورها عندما تغادر هذا المكان. ان شطراً من نفسها ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر في حين أن يعيش مع انسان آخر كل تلك الفترة الطويلة بدون ان يترك ذلك أثراً في حياتها؟ وقالت له بسرعة:

«إنني أشعر بالجوع فهل ستعود لتناول الافطار أم ستنتظر حتى تنتهي عملية الشحن؟»

«سأعود معك. ويستطيع خوسيه أن يعنى بالأمر هنا... وبانتهاء الشحن يمكنني أن أشعر ببعض الراحة والاسترخاء.»

وفي الطريق أطرق هنيهة قبل أن يسألها في رقة:

«وفي الطريق تشعرين بأن الحياة في المنزل تثير الضجر؟»

ان استخدام كلمة ضجر هنا هو استخدام غير سليم، والكلمة الأكثر ملاءمة هي:

«الاحباط. فليس امامي ما أفعله عدا ركب الخيل والقراءة وإينيز لا تسمح لي حتى بترتيب فراشي.»

فقال لها بجفاف:

«ربما تكون غير راضية عن طريقتك، فقد ظلت تشرف اشرافاً كاملاً على تنظيم المنزل لفترة طويلة حتى أنه ليصعب عليها أن تترك جزءاً من البيت بدون أن تشرف عليه.»

وقالت ليان لنفسها أن إينيز يصعب عليها أن تتخلى عن ذلك وخصوصاً لشخص مثل ليان .

وقالت له وهي تتعمد الاستخفاف:

«لو أنني كنت زوجتك حقاً لكانت... »

فقاطعها بابتسامة وقال:

«انك زوجتي فعلاً، من الناحية القانونية وان لم يكن من الناحية العاطفية. ومن

الآن يمكنك اذا أردت أن تستأثري بأي جانب تختارين من المهام التي تؤديها إينيز . وكل ما يجب عليك هو أن تبلغيها بذلك.»

«لن تطيعني.»

«الأمر متروك لك لالزامها بأن تطيعك.»

مالت الى الأمام قليلاً لكي تحك رأس الفرس روخو في المنطقة بين الأذنين وسألته بصوت خفيض:

«حقاً ؟ وهل تعلم إينيز أننا لا نذهب الى الفراش سوياً؟»

فأجابها ريكاردو في برود:

«لم أناقش هذا الأمر معها اطلاقاً. وأعتقد أن استخدامنا غرفتين غير متصلتين بباب أعطى كل خدم المنزل مجالاً للظن والأقاويل، وفي جناح البيت وكان يجب علي أن أراعي هذا النقص عند اختياري الجناح الشرقي فيه غرفتان كان يستخدمهما أبواي ويربط بينهما الباب الذي حدثتك عنه. فهل تفضلين الانتقال الى هذا الجناح لانقاذ ماء الوجه؟»

وجعلتها ملاحظته الساخرة ترفع ذقنها الى أعلى وهي تقول له:

«تأخر الوقت قليلاً للقيام بذلك. ألا يشارك الزوج زوجته غرفة واحدة في هذه البلاد؟»

«الأمر إختياري. فالكثيرون يفضلون استعادة عنصر التشويق والاستثارة عن طريق انفصالهما لكي ينام كل منهما على سرير مستقل عقب المعاشرة الزوجية. والأمر متروك للزوجين ان هما فضلا قضاء الليل كله سوياً.»

ودت ليان أن تسأله عن أي الحالين يفضل ولكنها تجنبت استثارة أحاسيسه بهذا السؤال. وسألته:

«قلت ان الأمر متروك للزوجين... ألا تعني بذلك أن الأمر متروك للزوج؟»

«أتصدقين أنه لا مجال للاختيار أمام الزوجة الأرجنتينية سوى الخضوع لمطالب الزوج؟»

«وهل لها أن تختار؟»

«الرجل الذي يفتقر تماماً الى المهارة في تحريك مشاعر المرأة لدرجة تجعلها تقابله بالصدود لا يستحق أفضل من هذا.»

«وما من لاتيني طبعاً يفتقر الى تلك المهارة.»

فمال الى الأمام فجأة لكي يمسك بلجام حصانها ويوقفه الى جانب حصانه ولاح في عينيه بريق يحمل في طياته معاني خطيرة وهو يقول لها:

«هل تحاولين استثارتي لأعاشرك معاشرة الأزواج؟»

وقالت له وهي تتمنى ألا يسمع خفقان قلبها:

«ان كنت أسعى حقاً لاستثارتك فلأنك تستدرجني لأفعل هذا، وأعتقد أنك تتعمد هذا.»

فقال لها وهو يبتسم ابتسامة غير متوقعة:

«ربما تكونين على حق في هذا. وأرجو أن أعلمك يوماً ما المبادئ الخاصة بكيفية التصرف والسلوك.»

وترك اللجام واعتدل فوق السرج وهو يقول:

«حاولي أن تتذكري من أجل صالحك وليس من أجلي أننا نستطيع بقليل من الجهد أن نقضي معاً وقتاً سعيداً.»

وأدركت ليان أنها هي التي يجب أن تبذل كل هذا الجهد.

وأحست أنه لا جدوى من وراء ذلك ولم يعد يهمها كيف تسير الأمور.

وفي نهاية الأسبوع هبت عاصفة ممطرة شديدة جعلت من الصعب على المرء أن يخرج من البيت. وأدركت ليان أن فصل الشتاء سيكون قد إنقضى نصفه عندما يحين وقت مغادرتها للأرجنتين. ولكن هذا التفكير جعلها تشعر بأن يوم العودة الى الوطن ازداد ابتعاداً. وعندما تصل في النهاية الى انكلترا سيكون فصل الخريف حل هناك، ولكنها ليست متأكدة بعد من هذا.

وسافر ريكاردو صباح يوم الاثنين الى بلدة سانتينا بعدما اتخذ الترتيبات لقضاء الليل هناك. وأدركت ليان أن الصفقات التي سيبرمها ريكاردو تتضمن مبالغ طائلة، وكفت عن المطالبة باصطحابه لها في رحلته الى سانتينا

وكافأها على ذلك بأن وعدها بزيارة البلدة في الأسبوع التالي.

وأحست ليان بأن ساعات اليوم أخذت تطول مع ادراكها بأنه لن يعود الى المنزل الليلة كان يترك البيت أحياناً لعدة ساعات اثناء النهار ليناقش أمور العمل مع مديري المزرعة، إلا أنه خلال الليالي القليلة الماضية كما يحرص على أن يمضي الوقت معها بعد تناول العشاء في الحديث وتدخين السيكار وهما يستمعان سوياً الى مجموعة اسطواناته العديدة.

ولمحته ليان مرة أو مرتين وهو يرقبها في حيرة كأنه يتساءل لماذا كانت الروح العدوانية ستعود اليها من جديد. ان تلك الروح كانت تطفو عادة قرب السطح ولكنها تنجح في تهدئتها بمهارة. وليس من السهل معرفة كيفية التعامل مع رجل مثل ريكاردو مندوزا، الا أنها وجدت نفسها تستمتع بالتعامل معه، وهي تدرك أنه نوع خطير من المتعة الا أن البديل لذلك، وهو مواصلة الشجار معه، لا يحقق أي هدف مأمون.

وأمضت صباح ذلك اليوم في العمل على تحسين مستواها في اللغة الأسبانية مستعينة بقاموس أعطاه لها ريكاردو ، وساعدتها خوانيتا بقدر ما استطاعت في تعلم نطق الكلمات باللهجة المحلية.

وأمضت كعادتها فترة بعد الظهر في القراءة والاسترخاء على كنبة ممتدة تحت الظل في الفناء الى أن حان وقت خروجها لركوب الخيل للمرّة الثانية خلال اليوم.

وكان قد تمّ اعداد الفرس روخو للركوب بوضع السرج فوقه عندما وصلت الى الاصطبل، ووجدت الحصان ديابلو الخاص بريكاردو يقف هناك تحت أشعة الشمس وهو أيضاً ينتظر ريكاردو كما اعتقدت ليان ، وقد افتقده مثلما افتقدته هي ايضاً. وحدثتها نفسها بأنها سوف تتمكن يوماً ما من ركوب ديابلو وأمامها متسع كبير من الوقت إذ ما زال أمامها أكثر من خمسة أشهر تقضيها في الأرجنتين.

وعندما عادت الى المنزل كانت الساعة قد بلغت السادسة دلفت الى المنزل من بوابة خلفية لتستخدم الدرج المؤدي الى غرفتها. وشاهدها رجل يجلس أمام المائدة

تحت أحد القناطر فوقف ليحييها في دهشة وهو يتناديها:

«سنيورا مندوزا!»

وردت عليه ليان محيية وهي لا تكاد تصدق. فهو رجل انكليزي كما يبدو من ملامحه وملابسه. وابتسم لها وهو يقول:

«انا غرانت ادواردز صديق ريكاردو . ويبدو أنني اخترت وقتاً غير ملائم لهذه الزيارة»

فقالت له بسرعة في لهجة تأكيد:

«كلا على الاطلاق انه لشيء رائع أن أرى أحد ابناء وطني. ارجوك أن تجلس»

وشكا لها غرانت من أن امرأة مسنة حاولت أن تمنعه من الدخول وأبلغته بأن ريكاردو غير موجود في المنزل وأنه خرج للعمل. فضحكت ليان وقالت له:

«انك عندما تعرف إينيز على حقيقتها ستجد أنها ليست سيئة وكل ما في الأمر أنها لا تعبأ بالغرباء. وأعتقد أنها تظن أنهم كلهم يريدون سرقة الفضة»

فضحك غرانت لهذه الدعابة وقال لها:

«أنني لا أكاد أصدق أنك زوجة ريكاردو . فعندما قابلته منذ شهرين لم يبلغني بالمرة بأنه متزوج»

فابتسمت قائلة:

«لم يكن قد تزوج بعد. تزوجنا منذ اسبوعين فقط في بوينس ايرس. هل تقيم في الارجنتين غرانت»

«أعمل حالياً كخبير استشاري في حقل جديد للبترول في شاكو»

«وهل تقابلت مع ريكاردو هناك؟»

«كلا تقابلنا في ريو دي جانيرو عندما كنت أمضي عطلة نهاية الأسبوع وقام أحد الناس بتعريف كل منا بالآخر. وقبل مغادرتي للمدينة وجه الي دعوة لزيارة الاستانسيا خلال أجازتي المقبلة وأتيحت لي فرصة قضاء فترة اجازة لمدة أسبوعين فقررت أن أزور الاستانسيا تلبية لدعوة ريكاردو . الا أنه كان

يجب أن أتصل به أولاً بدلاً من أن أفاجئه بالزيارة، لقد جئت بالسيارة الى هنا من مطار سانتينا . ويمكنني أن اتوجه الى هناك الليلة على أن أسافر غداً بالطائرة.»

فردت عليه ليان بسرعة:

«لا يمكنك أن تسافر قبل أن تلتقي بريكاردو على الاقل،وأستطيع أن أعد لك غرفة، وسوف يعود ريكاردو صباح غد، وهو في الحقيقة موجود الآن في سانتينا .»

«أحقاً هو هناك؟ كان في استطاعتي أن ألمحه لو أنني مررت بسيارتي من داخل البلدة ولكن ازدحام الأسواق فيها جعلني أسلك الطريق المؤدي مباشرة الى هناك.»

وأطرق قليلاً ثم سألها:

«لا بد أنكما عدتما لتوكما من رحلة شهر العسل.»

«لم يكن لنا شهر عسل.»

قالتها بسرعة بدون تفكير وسرى الدفء في جسمها وهي تراه يحدق فجأة في محاولة للتكهن بسبب ذلك. ولكنها تداركت الموقف في الحال وهي لا تدري ما اذا كان شهر العسل بالمفهوم البريطاني يلقى قبولاً في الارجنتين، وقالت:

«لم يكن لدينا الوقت لقضاء شهر عسل بالصورة الملائمة. اذ كان يجب على ريكاردو أن يعود ليشرف على شحن الماشية ولكي يلتقي مع المشترين. وسوف تقل مشاغل العمل الآن الى حد ما الى أن تحين فترة الشحن المقبلة.»

ولاحظت اقتراب إينيز في هدوء فذهبت لتأخذ دورها كسيدة البيت، بغض النظر عن الطابع المؤقت لهذا الدور. وقالت لاينيز بالأسبانية:

«سنيور ادواردز سيقيم هنا الليلة على الأقل. وأرجو اعداد غرفة له.»

فتصلبت رئيسة الخدم وقالت في امتعاض:

«لكن سيدي...»

فقاطعتها ليان قائلة:

«سنيور ادواردز حضر بدعوة منه. اطلبي من خوانيتا احضار الشاي لنا.»

فنظر اليها ادواردز في اعجاب وقال لها بعد أن انصرفت إينيز :

«انك تعرفين كيف تديرين دفة الأمور هنا.»

دهشت ليان عندما عرفت مدى اليسر الذي تدار به الأمور في المنزل بعدما تخطت الحاجز الذي كان يجعلها تتردد في اصدار الأوامر. فإينيز لا تستجيب للرجاء الذي يوجه اليها بلهجة مترددة لتفعل شيئاً ما، لأنها اعتادت على الخضوع للأوامر وهي لا تدهش الآن عندما تذكر كيف كان ريكاردو يبدي ضيقه بالنسبة اليه شيئاً سهلاً وطبيعياً.

واتخذت ليان كرسياً الى جوار ادواردز وسألته:

«حدثني عن عملك، هل هو ممتع؟»

«الأمر يتوقف على مدى نظرتك الى العمل نفسه فالظروف هنا بدائية جداً وظروف العمال المحلية تبدو أفضل. وفيما عدا ذلك الأمر يرجع الى الخبرة.»

«هل تعمل حراً بعقد خاص؟»

انني معار من شركتي.»

«هل أنت متزوج؟»

فابتسم وهز رأسه قائلاً:

«هذا العمل لا يصلح لرجل لديه زوجة وأولاد يفكر فيهم. إنه لن يتمكن حتى من رؤيتهم لمدة ستة اشهر. انني أعمل على تكوين ثروة قبل أن أستقر. وقد حددت لنفسي سن الخامسة والثلاثين كحد أقصى ومعنى هذا أنه ما زال أمامي ست سنوات.»

وسألته ليان بلهجة استخفاف:

«وماذا سيحدث لو أنك التقيت قبل ذلك بفتاة تريد الزواج منها هل ستطلب منها أن تنتظرك؟»

«لا يمكن التفكير بهذا الاسلوب ، ربما كنت سأعيد التفكير في تلك الحالة، فهذه الأمور قد تحدث بسرعة.»

فقالت وهي تخفض من بصرها:

«نعم قد يحدث هذا فعلاً»

وخيّم الظلام بسرعة غير مألوفة. وخلال لحظات تحولت السماء من حالة اللاشفافية الرقيقة الى الحالة المخملية الكثيفة. وأخذت النجوم تتلألأ في كثافة. وبدأت أصوات الليل المعهودة تداعب الآذان بدون أن يلحظها أحد الا اذا توقفت. وترددت ضحكة خوانيتا التي صدرت من اتجاه المطبخ... وعن بعد بدأت تسمع أصوات عزف القيثار في إيقاع بطيء.

وجذب ادواردز أنفاسه وقال لها:

«الحياة هنا آمنة. أليس كذلك؟ وهي تختلف عن المكان الذي جئت منه. في أي مكان في انكلترا كنت تقيمين؟»

«في لندن.»

وأحست فجأة بألم الغربة والحنين للوطن. فشهر فبراير/شباط في انكلترا يتميز بالبرد والرطوبة وربما الضباب أيضاً ولكنها في هذه اللحظة تتمنى بكل ما فيها من أحاسيس أن تكون في وطنها.

وصاح ادواردز قائلاً في ابتهاج:

«وأنا أيضاً من لندن، ولدت هناك. وقد مرّت ثمانية عشر شهراً منذ رأيتها لآخر مرة. كم من الوقت مرّ منذ مغادرتك لها؟»

ورأت ليان أنه ليس ثمة ما يدعوها لتلفيق قصة غير حقيقية. فقالت له:

«ثلاثة أسابيع.»

وتعمدت النظر الى وجهه لترى تعبيراته وهي تبتسم وقالت:

«انني أعلم أن الأمر يبدو بالنسبة اليّ أنا أيضاً شيئاً لا يصدق. فقد أصبحت تائهة بعد أن تخلت عني فرقة الرقص التي كان مفروضاً أن أنضم اليها في بوينس أيرس ، وفي تلك الاثناء عثر عليّ ريكاردو وتزوجنا بعد يومين.»

ونظر اليها وهو غير متأكد مما يسمع وقال:

«حقاً إنني أعرف أن اللاتيني يتميز بسرعة اتخاذ القرارات ولكن هذه الحالة سجلت سابقة لا مثيل لها. إذ لا بد أنك تأكدت فعلاً من مشاعرك نحوه.»

وكان هناك اغراء كبير يحفز ليان أن تندفع في سرد القصة كلها ولكنها بذلت جهداً في مقاومة هذا الاغراء، وهزت كتفيها وهي تضحك قائلة:

« ريكاردو ليس بالرجل الذي ترفضه امرأة.»

فحلق فيها قائلا:

«أتقصدين أنك تزوجته من أجل المال؟»

«وهل من الصعب تصوّر ذلك؟»

«نعم، فأنت لست من النوع الذي يبحث عن الذهب. أتريدين أن تقولي لي أنك لا تحبينه؟»

وكان السؤال مباشراً بحيث لا يمكنها أن تراوغ في الرد عليه، كما أنها في الوقت نفسه لا تستطيع أن تتظاهر أمام هذا الرجل بأنها تكن لريكاردو تلك العاطفة. وقالت له:

«أرجو ألا تحكم عليّ يا غرانت. فهناك أشياء تتعلق بزواجي، لا يمكنني التحدث عنها. ولقد قلت في هذا الشأن اكثر من اللازم.»

وفي تلك اللحظة أحضرت خوانيتا الشاي فشعرت ليان بالارتياح وبدأت تقدم الشاي لغرانت فانتظر حتى أمسك بالفنجان في يده وقال لها في صراحة:

«انك تستطيعين ان شئت أن تطلبي مني الا أتدخل في شؤونك ولكننا إنكليزيان وهذا يجعلني أشعر بالاهتمام بشكل ما ازاء هذا الأمر.»

وسألها بعد تردد:

«هل لجأ ريكاردو لأي نوع من القسر لحملك على الزواج منه؟»

وردت عليه بسرعة أحست بها:

«كلا، وكان يجب ألا أحكي لك شيئاً من هذا. لا أدري ما الذي جعلني أفعل ذلك؟»

«أنا أعرف السبب. فأنك تحتاجين الى انسان يقف الى جانبك، وهؤلاء الناس هم رجال ريكارغو وليسو رجالك. لقد شعرت بالزهو الشديد عندما قابلتني بكل

هذا الترحيب الآن. وبعد أن عرفت السبب فانني الآن أدرك لماذا يسعدك أن ترى
في شخص ليس من أصل أسباني - ويمكنني أيضاً أن أدرك السبب الذي جعل
ريكاردو يسارع بالاستئثار بك. فأنت فتاة جميلة جداً يا ليان ، ومن
النوع الذي يسلب عقول الرجال. وكان يجب على ريكاردو أن يتيح لك
الوقت اللازم للتدبر والتفكير»

وأدركت أن الافتراض الذي فكر فيه هو شيء طبيعي في ظل الظروف المتاحة
أمامه. فقد اعتقد أن ريكاردو وقع في حبها وجرفها بعاطفته قبل أن تتاح لها
فرصة التفكير في القيم البعيدة المدى لعلاقتها وهذا بعيد عن الحقيقة ولكنه
أفضل بكثير من الورطة التي دفعت بنفسها اليها عندما روت له نصف
الحقيقة. إن إن غرانت ادواردز صديق لريكاردو ولا يجب عليها أن تفعل
أكثر من هذا خشية تحطيم تلك الصداقة لمجرد الحصول على حليف مؤقت انها ما
زالت تتصرف على مسؤوليتها بدون عون من أحد.

٦ - رقصة المفاجأة

استمتعت ليان بتناول طعام العشاء في صحبة غرانت، وهو جليس مرح استطاع أن يضحكها بالقصص التي رواها عن مواقف محرجة صادفها في عمله. وانتقلا الى الصالون لتناول القهوة أثناء ذلك سألها اذا افتقدت الرقص الذي كانت تمارسه قبل زواجها من ريكاردو، كما قالت له. فردت عليه بأنها لم تفتقده الاّ قليلاً خاصة أنها ليست راقصة كبيرة. فقال لها باستخفاف:

أما هنا فأنت ملكة القلعة كلها... سيدة أرض مندوزا !»

أنها حقاً سيدة مندوزا ولكن في الاطار الذي يحدده ريكاردو. ولكن ما الذي يهمها من هذا، فعندما تعود الى انكلترا ستكون لديها ثروة تغنيها عن العمل طول الوقت. وسوف تمحو من ذاكراتها هذه الفترة التي تقضيها الآن في الأرجنتين. ولكنها تشعر بأنها تكذب على نفسها لأن هذه المسألة ستلازمها بذكرياتها الى الأبد وتنعكس آثارها على كل جوانب حياتها.

وقامت ليان لتدير احدى الاسطوانات الموسيقية التي استمع اليها ريكاردو في الليلة السابقة، وهي تحمل مختارات من الموسيقى اللاتينية الأمريكية لفرقة المايسترو كسافييه كوجات. وقال غرانت أنه يحب ايقاع تلك الموسيقى أن فيها بدائية تنشط العقل والحس. ودعاها الى الرقص فاستجابت بعد

تردد لم يستغرق سوى لحظات. واثناء الرقص قال لها أنه مضى وقت طويل منذ راقص أي فتاة بمثل هذه المتعة، فردت عليه بقولها:

«عد الى انكلترا ياغرانت وابحث لك عن فتاة تتزوجها قبل فوات الاوان.»

وماذا عن خطة السنوات الست التي حددتها. الأمر يتطلب مالا لاتخاذ زوجة واعالة أسرة.»

«يمكنك أن تعيش بدخل متوسط بدون صعوبة.»

«ليست هذه طريقتي في الحياة، فلا بد أن يكون لي رصيد في البنك يفوق الحد المتوسط قبل أن أبدأ في البحث عن زوجة.»

«ولكن كيف تحقق ذلك وأنت هكذا وحيد.»

فابتسم وقال :

«انني لا أعير هذه المسألة اهتماماً كبيراً . وان كان وجودي الآن معك حيث أحادثك وأنظر اليك يجعلني أحس بما أفتقد فعندما أعود الى عملي سأرجع الى حالتي الطبيعية بعد مضي أسبوع.»

«إنك رجل عملي ، ولكنك لاتستطيع أن تحدد خط سير حياتك بمنتهى الدقة ، فهناك أمور مفاجئة تقلب أحسن الخطط رأساً على عقب .»

فسألها بسخرية:

«مثل مقابلة شخص ما والزواج منه خلال يومين؟»

وأضاف وقد بد عليه حب الاستطلاع وعدم الاقتناع بالقصة التي روتها له:

«لايمكنك اقناعي بأنك سعيدة هنا. فأنا ألا حظ نظرة معينه في عينك كلما ذكرت اسم ريكاردو... هل يساورك الخوف منه؟»

«وهل كنت أتزوجه لو أنني كنت أخاف منه؟»

«ربما تكونين قد فعلت ذلك تحت ظروف معينة.»

وتوقفت ليان عن الرقص عندما تغيرت القطعة الموسيقية وأنزلت يدها من فوق كتفه، وقالت له:

«غرانت ، لم نتعرّف الى بعضنا الا منذ أربـع ساعـات فقط، كما لاتعـرف

ريكاردو كثيرا ومن الأفضل الا تتحدث بهذه الطريقة.»

«الوقت لايهم في هذا الأمر. فأنا أشعر كأنني عرفتك طول عمري وأن كان هذا يدلّ على الحماقة، ولكن لاحيلة لي فيه. فأنا صديقك وأرجو أن تصبحي صديقتي. أعجبت بريكاردو عندما التقيت به. ولكن هذا ليس معناه ألاّ أرى فيه سوى محاسنه. إنه رجل وكلنا معرضون للاغراء..»

فنظرت اليه بعض لحظات ثم قالت:

«أتظن أنني تزوجته لأنني كنت مضطرة لذلك؟ ألا تعتقد أن تلك الطريقة عفا عليها الزمن؟»

«أعتقد أنك تتبعين الأخلاقيات القديمة التي تجعلك تعتقدين بضرورة زواجك من أول رجل يبدي الحب نحوك سواء كنت تحبينه أم لا.»

«في ظل تلك الأخلاقيات كان يمكنه أن ينالني ضد ارادتي، أم تظن أن ريكاردو وحش آدمي؟»

«كلا. لكنني أراهن أن له قدرة شديدة على الاغراء والاستدراج.»

ولمس شعرها بيده وهو يقول:

«الرجل اللاتيني يطيش صوابه لمثل بشرتك.»

وفي تلك اللحظة انطلق الصوت الحازم من جهة الباب يقول:

«ليس اللاتيني وحده على مايبدو»

وتراجعت ليان خطوة الى الوراء مبتعدة عن غرانت في الوقت الذي بدأ فيه ريكاردو يتقدم داخل الحجرة، وقالت في ارتباك:

«أننا لم نسمع صوت السيارة.»

فرد في سخرية:

«ربما لأنكما لم تكونا تتوقعان حضوري.»

وتحول ببصره نحو غرانت الذي وقف في جانب من الغرفة يشعر ببعض الحرج وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ترحيب فاترة، وقال له:

«أنني مسرور، لأنك لم تنس الدعوة التي وجهتها اليك. ومن حسن الحظ أنني

قررت أن أعود الليلة بدلاً من الانتظار الى الصباح.»

وتساءلت ليان بينها وبين نفسها: من حسن حظ من؟ من تصرف ريكاردو أنه لايلوم غرانت لهذا المشهد الذي رآه عند دخوله، فهي المذنبة لأنها سمحت لنفسها بأن تقترب على هذا النحو من رجل آخر، كما أنها هي التي ستتعرض لغضبه الشديد، الذي يحاول كتمانه الآن، ولن يحدث شيء من هذا القبيل في تلك اللحظات التي سيقوم فيها ريكاردو بتحية ضيفه. ووقف غرانت حائراً ومتردداً وهو يفكر في محاولة شرح السبب الذي من أجله لمس شعر ليان، ولكنه قرر أن من الحكمة ألا يفعل ذلك. وحاول غرانت أن يعتذر لزيارته المفاجئة ولكن ريكاردو ردّ عليه بأنه لاداعي للاعتذار لأن الدعوة التي وجهها اليه كانت مفتوحة ليقوم بها في أي وقت، وأضاف قوله:

«مرحباً باقامتك معنا لأية فترة تشاء. ليان، هل سهرة على راحة ضيفنا؟»

وردت ليان وهي تدرك لهجة السخرية التي تحدث بها:

«أعدت اينيز غرفة لسنيور ادواردز عند الطرف البعيد للفناء وقد زارها بنفسه.»

وزال عندئذ أي شك في ان ريكاردو يوجه أي اتهام الى غرانت، وقال ريكاردو بصوت قوي:

«تفضل سنيور ادواردز، ان كلا منكما انكليزي ولاداعي لتلك الرسميات.»

ودعا ريكاردو غرانت لتناول الشراب فجلس غرانت باسترخاء في كرسيه يشعر بالاطمئنان في حين أخذ ريكاردو ينظر الى كأسه نظرة مبهمة وقال:

«علينا أن نحتفل غداً بزيارتك لنا. لم أستطع تناول العشاء معك الليلة لأن عودتي لم تكن مقررة.»

عندما علم ريكاردو أن الأجازة التي أخذها غرانت تستغرق أسبوعين قال له:

«انها فترة قصيرة ولكننا سنجعل اقامتك معنا ممتعة بقدر الامكان. وقد أكون

مشغولا بأعمالي في بعض فترات من اليوم ولكنني واثق أن ليان ستقوم بواجب الضيافة نحوك على خير وجه.»

وتركتهما ليان يتجاذبان أطراف الحديث بدون أن تقول شيئاً الا اذا تطلب الأمر ذلك. ولم تنخدع بمظهر الهدوء التام الذي بدا على ريكاردو فهي تعرفه جيداً. وأدركت أن ريكاردو أرجأ محاسبتها الى وقت آخر فهو لاينسى شيئاً ولا يتسامح بسهولة. واستأذنت بالانصراف، فقام معها ريكاردو وغرانت الذي رمق ليان بنظرة سريعة ذات معنى وهو يقول لها:

«تصبحان على خير، وشكراً لعنايتكما بي.»

وكانت كل كلمة نطق بها غرانت كالمسمار في نعشها، لكنه لم يكن ليعرف ذلك طبعاً. ولم يكن هناك أي سوء تفاهم من وجهة نظره ومن وجهة نظر ريكاردو فان غرانت لم يرتكب أي خطأ، وهو أمر يدعو الى السخرية.

وتوجهت الى غرفتها بسرعة وقابلت في طريقها اينيز التي تشعر ليان بأنها شرّ لابد منه وهي تعتقد أن ريكاردو يكلفها التجسس عليها وتتمنى اينيز التي لاتخفي كراهيتها لليان، أن يأتي اليوم الذي ترحل فيه عن البيت وهذا هو شعور كل من في البيت فيما عدا جوانيتا ووقفت ليان في الشرفة تشمّ رائحة الزهور، وفتح الباب فجأة بدون استئذان ورأت ريكاردو يسند ظهره الى الباب بعد أن أغلقه، وأدركت أنها أحسنت صنعاً باطفائها أنوار الغرفة قبل أن تفتح نوافذها، وضوء القمر لن يكون كافيا للكشف عما يخالجها من أحاسيس وسألها في نعومة:

«هل لديك ماتقولينه تبريرا لهذا المسلك؟»

«ولماذا أكلف نفسي بتقديم مبررات مادمت كونت رأيك؟»

«لاأعتقد أنك ظننت أن غرانت ربما كان يغازلني؟»

«لابد أن يخامرني هذا الظن طبعاً، فهو رجل، ومن الطبيعي أن يستجيب الرجل للنداء.»

«أي نداء؟»

«التزامك منه، ورغبتك الواضحة في الاحساس بلمسة يده.»

«ليس هذا بالانصاف. لقد كان كل منا قريباً من الآخر لأننا كنا نرقص وهو لم يفعل أكثر من لمس شعري.»

«مادام راقصك لابد أنه لمس غير شعرك!»

وأطلق العنان لمشاعره وهو يقول:

«لابد أنك أنت التي أدرت الاسطوانة، ولهذا فأنت التي رغبت في مراقصته. هل حرك ابن بلدك هذا مشاعرك؟»

فردت عليه في يأس:

«كفى يا ريكاردو. لم يكن الأمر كما صورته بالمرة، فنحن، كما قلت انكليزيان نميل الى الابتعاد عن الرسميات، ولم يحدث أي شيء بيننا، فكل مافعلناه هو الحديث.»

فضاقت عيناه وهو يسألها:

«عن أي شيء دار الحديث بينكما؟»

وتحركت بصرها بعيداً عن وجهه رغم أنها حاولت بدون جدوى ألا تفعل ذلك وهي ترد عليه بقولها:

«تحدثنا عن كل شيء... عن البيت وعن عمله.»

فاتجه نحوها وجذبها من ذراعيها وهو يقول لها بقوة:

«انك تكذبين... حدثته عني وعن زواجنا، أليس كذلك؟»

وأخذت أصابعه تغوص بشدة، وردت عليه وهي ترتجف:

«كلا، ليس بالمعنى الذي تظنه، استنتج هو نفسه بعض الاشياء عن هذا الموضوع.»

ورد عليها باستنكار وشك:

«كيف يمكن لانسان أن يستنتج موقفاً كهذا؟»

«أقصد أنه توقع شيئاً ما بيننا ليس على مايرام ومن ثم طلع ببعض الاستنتاجات.»

واستمر في الامساك بذراعيها في شدة وهو يقول لها:

«لابد أنه رجل ذكي جداً ليفعل ذلك حتى بدون أن يرانا سوياً. وماهي تلك الاستنتاجات التي طلع بها؟»

والتقطت ليان أنفاسها وهي تعلم أنها مضطرة لأن تروي له شيئاً ما وتحس في الوقت نفسه بأنها غير قادرة على أن تنبس أي كلام، وقالت:

«انه يعتقد أنني تزوجتك لأنني التزمت بذلك.» وكان من الصعب علي أن أتظاهر بأنني أحبك.

فأطلق ضحكة حادة وقصيرة ومجردة من روح المرح وقال:

«أتقصدين أنني الآن أمتلكك؟ وهو يظن ان كلأمنا يسير على نمط من السلوك إعتقد أنه غريب تماماً عن طريقه الحياة الانكليزية هذه الأيام، إنه زواج المصلحة، فهو التزام بالضمير من جانبي، والتزام أخلاقي من جانبك.»

«أليس الاثنان شيئاً واحداً؟»

فضغط شفتيه في تبرم وقال لها:

«لاتحاولي أن تعلميني الفروق الدقيقة بين معاني الكلمات الانكليزية فليس هذا الوقت او المكان الملائمين لذلك . وان كان ضيفنا يعتقد أنني زوجك، فمن الأفضل اذن أن نحيل هذا الأمر الى حقيقة!»

فصرخت وقد أصابها الفزع الشديد وهي تقاومه، ولكنها تمالكت نفسها وذكّرته بما سوف يخسره اذا أقدم على هذا، ولكنه قال لها أنه سبق أن حذرها الأ تتصرف تصرفاً يدفعه الى ذلك حيث سيجد وسيلة أخرى لانهاء الاتفاق الذي أبرمه معها. ولكنه عاد الى التعقل وابتعد عنها قائلا:

«انك على حق فالمتعة ستكون قصيرة الأمد إذا قورنت بالتعقيدات التي ستترتب عليها.»

ودعاها الى الرضى والقبول فقالت له:

«هذا ليس حبا فأنت لاتختلف عن أبيك.»

حذرها الأ تقول هذا الكلام مرة أخرى، وقال لها انه لوكان مثل أبيه لنال منها

مايريده الآن. وتركها بعد أن أكد لها أنه فقد أي رغبة. وأحست من نظرات عينيه أنه أصبح يكرهها. وخلال الأيام التالية أصبح غرانت ضيفاً يلقى الترحيب في البيت، وأحست أنه لولا وجود غرانت لما استطاعت أن تتحمل الجو الذي أصبح سائدا الآن بينها وبين الرجل الذي تزوجته. ولم يحاول ريكاردو أن يكشف لها بعد ذلك عن حقيقة مشاعره وأخذ يحدثها في برود وإن كانت عيناه يشع منهما البريق وهو ينظر اليها وهما على انفراد.

وأدركت ليان أنها أصابت ريكاردو بجرح عميق في نفسه عندما قارنت بينه وبين والده وحاولت أن تبدي إعتذارها له ولكنها لم تكن تعرف الوسيلة لذلك. وفضلت السكوت بدلا من أن تسكب مزيدا من الزيت على النار، وقنعت بأنها أصبحت آمنة من التوترات العاطفية.

وأخذ ريكاردو يمضي جانباً كبيرا من وقته مع مديري المزرعة تاركا ليان تقوم بواجب الضيافة مع غرانت . فأخذا يخرجان سوياً لركوب الخيل والتنزه في مختلف الأماكن، وتحدثا عن كل شيء تقريباً. وقال لها مرة أنها تكابد الحنين للوطن وأن حنينها سيزداد عندما يرحل عنها. وحذرها من أنها لن تستطيع التكيّف مع الحياة في تلك البلاد نظرا لاختلاف الثقافتين. فقالت له:

«ان هذا سيأتي بمضي الوقت وأنني لم أمض هنا سوى أسابيع قلائل وأمامي الكثير لأتعلمه.»

«مثل الخضوع لزوجك مثلا. ان هذا الجزء من العالم لايعرف شيئاً عن المشاركة بين الزوجين. فأنت ملك له. والقانون لاينصفك مهما كانت معاملته لك. فهل تعرفين ذلك؟»

«لم أفكر في هذا من قبل.»

«اذاً حان الوقت لذلك. أنني أدرك سبب انجذابك اليه في البداية فهو رجل تنجذب نحوه النساء وهو واثق من نفسه وقوته.»

«وثـري!»

فقال لها في غضب :

«لاتقولي هذا ولا تحاولي التظاهر بما ليس من صفاتك. يمكنك أن تطلبي مني عدم التدخل في شؤونك، ولكن لاتعامليني كانسان غبي.»

فأعربت له ليان عن أسفها، وقالت له أنها تقدر اهتمامه، ولكنها لاتستطيع أن تناقش معه هذا الأمر، وكل مافي الموضوع أنها متزوجة من ريكاردو.

فقال لها أنها لاتحبه وأنه واثق من هذا، فطلبت منه عندئذ أن يعودا لأنهما دخلا أرض ريخا، واقترح عليها أن يقوما بزيارة لكارلوس وزوجته ايزابيلا، فترددت في البداية لكنها وافقت عندما فكرت في أن أحدا ما لابد أن يخطو الخطوات الأولى لتحطيم الحواجز بين الجانبين حتى ولو كان ذلك بالنسبة اليها هي و ايزابيلا. وقالت لغرانت ألا يدهش اذا استقبلها كارلوس بروح عدائية. فقال لها أنه لايرى سبباً يدعوه لذلك لأن النزاع بينه وبين ريكاردو، كما انه لايرى ثمة ما يدعو ريكاردو، وهو رجل ذو عقلية ناضجة، الى الابقاء على هذا النزاع لفترة أطول من هذه. وسألته وهو يهم بركوب السيارة والجلوس خلف عجلة القيادة:

«لم تعد تحب ريكاردو كثيرا أليس كذلك.»

«لا أستطيع فهمه فهو يختلف عن الرجل الذي قابلته لأول مرة في ريودي جانيرو.»

وقال لها غرانت أنه لاحظ منذ مجيئه أنها تعاني الارهاق، فردت عليه بقولها:

«يقولون أن السنة الأولى للزواج هي أسوأ سنة أليس كذلك؟»

«لاتحاولي المزاح في هذه المسألة، أو اقناعي بأن الأمر مجرد تطور طبيعي، لأن الموقف ليس طبيعياً بالمرة.»

وطلبت منه التعجيل بالتوجه لزيارة أسرة كارلوس حتى يمكنها العودة قبل حلول الظلام. ولكنه أخذ يستمهلها لأن تثق فيه وهو يؤكد لها احساسه بأنها تخفي عنه أشياء عن حقيقة زواجها. وطلب منها أن تعده بأن تتصل به في الشركة حيث يعمل اذا احتاجت لأية مساعدة وعندئذ طلبت في الحاح أن يتحرك بالسيارة وقد اعتراها احساس سريع بالأسى لمجرد تفكيرها في أنه سيرحل يوماً ما

وقالت له:

«أعدك، فنحن البريطانيين يجب أن نتكاتف سوياً. وعندئذ أدار محرك السيارة.»

***

٧ - قرار خاطىء

وصلا الى مشارف بيت ريغا بعد الثالثة بقليل. لأول مرة ترى ليان هذا البيت في ضوء النهار. وهو بيت جميل له خطوط متناسقة وغير متوازية وليس فخماً كبيت مندوزا لكنه يشعرك بالألفة. وتمنت ليان أن يكون لها بيت كهذا ان كان عليها أن تعيش في مثل هذا المكان.

ولم يكن هناك أحد خارج البيت كالمعتاد في مثل هذا الوقت من النهار، حيث يأخذ الناس اغفاءة في وقت القيلولة. وأدركا أنهما جاءا في وقت غير ملائم ولكن لامفر من أن يعلنا عن حضورهما. وتقدم من السيارة خادم في زي مهندم وجميل طلبت منه ليان أن يبلغ السنيورا كارلوس بأن السنيورا مندوزا والسنيور ادواردز جاءا لزيارتها. فقال لهما أن السنيورا كارلوس تستريح في الفناء. وعندما لمحت ايزابيلا الزائرين القادمين نحوها ألقت جانبا بالكتاب الذي كانت تقرأ وهي تشعر بالدهشة للمفاجأة التي أسعدتها، وقامت لتحيتهما وهي تبتسم في حيوية وتقول:

«تمنيت ان تقومي بزيارتي وها انت هنا. وكنت أعتقد أن ريكاردو لن يسمح بهذا. ألم يأت معكما؟»

«كلا، إنه لايعرف حتى بمجيئنا، والا لما وافق على ذلك، هذا غرانت ادواردز الذي يقيم معنا في بيت مندوزا وهو خبير بترولي ويعمل حالياً في تشاكو»

وطلبت من ضيفيها الجلوس ريثما يتم إحضار المشروبات، وأبلغتهما بأن كارلوس يغيّر ملابسه وسيحضر حالا.

ولاحظت تغيّر تعبيرات وجه ليان فابتسمت قائلة:

«يجب ألا تساورك الشكوك نحو كارلوس الذي سيغتبط لأنك لاتشاركين ريكاردو مشاعر عدم الثقة. فالرجال تتسم مشاعرهم بالحدة، وليس عندهم أخذ وعطاء. فتدخل غرانت قائلا وهو يضحك:

«أنا شخصياً أعتقد أن النساء أسوأ الأعداء ، ولكن هذا مجرد رأي صادر عن رجل.»

فردت عليه بضحكة مماثلة قائلة:

«انك تسخر مني لأنني أتكلم عن الرجال بصفة عامة وماكان يجب علي أن أفعل ذلك، رغم أن الاغراء شديد.»

وسألت ليان عما أحسته خلال الفترة القصيرة التي أمضتها في سهول بامبا وهل أحست في البداية بضجر كمعظم الأوروبيين. فقالت لها أنها أحست في البداية أنها في ضياع وكانت تخشى أن تضل طريقها وهي تتجول بحصانها، ولكنها أدركت أن الحصان يعرف طريقه الى البيت دائماً. فسألتها ايزابيلا اذا كان ريكاردو قد خصص لها بعض الخيول فأجابتها بأنه اعطاها حصاناً يدعى روجو فردت ايزابيلا:

«أعرفه فهو حصان وديع وقوي ولكنه ليس على درجة كبيرة من الروعة وريكاردو أناني يحتفظ لنفسه بأحسن الخيول، وهو لايعرف أنني امتطيت مرة حصانه ديابلو وغضب كارلوس عندما علم بذلك ولكنني رجوته ألا يبلغ ريكاردو.»

فسأل غرانت:

«هل كان هذا قبل أن يتشاجرا؟»

ردت ايزابيلا في حزن:

«نعم. ولكنهما لم يتعاملا أبدا كأخوين صديقين. منذ زواجي بكارلوس لم أر ريكاردو سوى مرة واحدة للأسف.»

ولمحت ايزابيلا كارلوس قادماً فنادته:

«كارلوس إنظر من جاء لزيارتنا... أليس هذا شيئاً رائعاً.»

فاقترب وهو يرتدي زياً أنيقاً، وقال بابتسامة لم تكن صافية تماماً:

«انه لشيء رائع فعلاً، وان كنا لانتوقع ذلك، هل يعلم ريكاردو بهذه الزيارة؟»

فردت عليه بالنفي وهي تشعر بالأسف لمجيئها. لكنها أدركت أن وجودها هنا اوضح حقيقة مشاعرها وتعاطفها. وقدمت غرانت لكارلوس فأخذا يتحدثان عن المسائل المتعلقة بالكشف عن البترول. وأثناء ذلك دعتها ايزابيلا لمشاهدة بقية أجزاء المنزل فقبلت بعد تردد لأنها لم تشأ ترك غرانت بمفرده بكارلوس الذي قد يبلغه بأن زواجها من ريكاردو تم توقيعه بدقة حتى ينتزع ريكاردو أرض مندوزا منه، وذلك رغم أن كارلوس لايعرف بالأبعاد الكاملة للمؤامرة. ولكن يحتمل جدا أن يمتنع كارلوس عن اثارة هذه المسألة مع غرانت الذي لاشأن له بالأمور التي تخص عائلة مندوزا.

البيت مريح من الداخل كما يوحي بذلك مظهره الخارجي.

واعتذرت ايزابيلا لأن أبويها يأخذان اغفاءة في مثل هذا الوقت كل يوم كعادة أبناء ذلك الجيل. وسألتها ليان في اهتمام:

«اعتقد أنك قد اعتدت قضاء وقت طويل في أرض مندوزا في الماضي؟»

فضحكت ايزابيلا قائلة:

«نعم ، وأعترف بأنه جاء وقت كنت أعتقد فيه أنني أحب ريكاردو»

«الى أن ظهر كارلوس ؟»

«كلا، وبعد ظهوره أيضا الى ان جاء يوم أنقذني فيه كارلوس من السقوط عن الحصان ديابلو فأدركت عندئذ أنه الرجل الذي أريده المرأة كما تعرفين يجب أن تكون مرغوبة ومحبوبة في آن معاً.»

وأدركت ليان أن ايزابيلا كانت امرأة مرغوباً فيها حقاً. ويمكن القول بأن ريكاردو يئس منها وهو يرى الفتاة التي أحبها تخونه مع أخيه الذي يمقته. وهي لهذا لاتدهش كثيراً عندما تراه يدفن مشاعره العميقه في قرارة نفسه لأنه بهذا الوضع لايمكن لأية امرأة أن تجرح عواطفه مرة أخرى.

وعندما عادتا الى كارلوس وغرانت أحست ليان بأن غرانت ينظر اليها نظرة غريبة ولكنه تظاهر بأنه طبيعي عندما ذكرت ليان أن الوقت حان لذهابهما. وغادرا المنزل وسط الحاح من ايزابيلا بأن يعودا للزيارة مرة أخرى قبل انتهاء أجازة غرانت . وقال لها غرانت وهما يبتعدان عن المنزل ان ايزابيلا امرأة سخية وأنه يدرك السبب الذي يجعلها تحبها ، وهو أن كلا منهما تتسم بحسن الخلق . فهما تتمتعان بالمظهر الحسن ولايحدث عادة انسجام بين امرأتين لهما المستوى نفسه من الجاذبية، انه شيء مخالف للطبيعة.

وقالت له ليان أنها تشعر بأنها خرجت عن طاعة ريكاردو لقيامها بزيارة أسرة كارلوس، وأن ريكاردو سيغضب كثيرا عندما يعلم بذلك وعندما قال لها ألا تبلغ ريكاردو بهذا اجابته أنها ان لم تفعل فان كارلوس سوف يبلغه. وأعرب لها عندئذ عن اعجابه بشخصية كارلوس ودماثة خلقه، ولكنه أشار الى أنها لم تبلغه بأنه مجرد أخ غير شقيق لريكاردو. فقالت له ليان عندئذ:

«من الواضح أن كارلوس أبلغك بذلك، وعن أي أشياء أخرى تحدثتما؟»

«تحدثنا في أشياء مختلفة.»

وحاول أن يتهرب من الرد بتحويل موضوع الحوار مما جعل ليان تحس بأن كارلوس أبلغ غرانت بشيء ما. فهل أبلغه بالقصة كلها أم بما يكفي لكسب تعاطفه. واعتقدت أن الشيء الأكثر احتمالا هو أنه بذل جهده لكسب تعاطفه من خلال تشويه سمعة ريكاردو وكشف المؤامرة التي نفذت في اللحظة الأخيرة لحرمانه من الميراث الذي يستحقه.

وبعدما قطعا حوالي ثلاثة أميال شاهدا سحباً من الغبار تقترب في الاتجاه المعاكس. وبعد قليل تكشف النظر عن عربة يجرها زوج من الخيل يرافقها فارس على جواده. وكاد قلبها يتوقف عندما عرفت هذا الجواد بملامحه ولونه المميز. فقالت لغرانت إنه ريكاردو وطلبت منه الابطاء في السير.

وعندما اقتربت العربة لاحظت ليان أنها تحمل عددا من رؤوس الخراف الميتة. واقترب ريكاردو بجواده من غرانت الجالس خلف عجلة القيادة

وسألها:

«أين كنتما ؟»

فردت ليان وهي تحاول أن تبدو واقعية:

«ذهبنا لزيارة ايزابيلا .»

فشدد قبضته على المقود مما جعل الحصان يرفع رأسه الى أعلى ، وقال لها أنه سيبحث الأمر فيما بعد. وطلب من غرانت أن يعيد زوجته الى البيت في الحال. وعندما أبلغه غرانت بأنه هو الذي أخطأ لأنه اقترح على ليان زيارة بيت ريجا وأنه لاداعي لالقاء اللوم على ليان. قال له ريكاردو بأنه سيقرر فيما بعد من الملوم. وسألت ليان ريكاردو اذا كان أطلق النار بنفسه على تلك الخراف فقال لها أنها قتلت بأمر منه، وأنه داعي لأن تشغل نفسها بتلك المسائل وأمر ريكاردو سائق العربة بالسير.

وتحرك غرانت بالسيارة وهو يقول :

«ما شأن تلك الخراف ؟»

«هدد ريكاردو كارلوس بأنه سيقتل خرافه اذا وجدها في أرض منذورة مرة أخرى، وهو يعتقد أن كارلوس يتعمد ذلك لينتهك حرمة أرضه.»

«وهل هو مهتم الى هذا الحد بألا تطأ الأغنام أرضه.»

« هذا يشغل كل فكره انها مسألة مبدأ. فلا يجب أن تختلط الماشية بالأغنام في أرض واحدة.»

«توجد مزارع كثيرة يختلط فيها الأغنام بالماشية بدون أي تأثيرات ضارة.»

وقال غرانت وقد تغيرت لهجته أنه متأكد من أنها أرغمت على الزواج من ريكاردو وأنه لايعرف أي نوع من السيطرة يفرضه عليها فقالت له أنه لم يتح لها أن تختار وناشدته الا يطلب منها أن تكشف له عن المزيد لأن المشكلة لاتتعلق بها وحدها. فقال لها أن المشكلة لابد أن تخصها ان كانت لها علاقة بها بأي شكل من الاشكال. والعلاقة مؤكدة من جميع النواحي. ولايمكنها أن تعيش بقية حياتها رهن ارادة ريكاردو ونزواته حتى لو كانت تحبه. فردت عليه

ليان مدفوعة بعاطفة لاسيطرة لها عليها، وسألته:

«وما الذي يجعلك متأكداً أنني لا أحبه؟»

«أحقاً تحبينه ؟»

«لا أدري... ولا أعرف حقيقة شعوري.»

«أياً كان شعورك ، فليس هذا بالحب .»

وقال في توتر وهو يرقب الطريق الترابي أمامه:

«هل لي أن أسألك سؤالاً شخصياً؟»

«كلا ، وأرجوك ألا تتدخل في هذه المسألة.»

«أصبح لي دخل بهذه المسألة منذ التقينا... ولن أترك الأمر هكذا مالم تقنعيني برغبتك في البقاء مع ريكاردو.»

ورمقته وقد أخذت تتنازعها مشاعر متضاربة. وفكرت في أن تحاول مرة أخرى افشاء الحقيقة له، ولكنها أدركت أنه لافائدة ترجى من وراء ذلك فالزواج حتى وان كان لن يستمر، ولن يسمح لها ريكاردو مطلقاً بأن تخرق اتفاقها والاتفاق الذي فرضه عليها مقابل الثمن الذي سيدفعه، انها لاتريد هذا المال بالمرة.

وما أن وصلت السيارة الى بيت مندوزا حتى دلفت ليان مسرعة الى البيت بعد أن اعتذرت لغرانت. انها لاتعرف متى يعود ريكاردو، وقد أوشك الليل أن يرخي استاره بعد نصف ساعة. مازالت تذكر النظرة الصارمة التي رمقها بها ريكاردو عندما فاجأها في أرض ريغا كما أنها لاتنسى منظر الخراف المقتولة. اي نوع من الرجال هذا الذي يسمح لنفسه بقتل حيوان كهذا. لقد كان في امكانه أن يعيد الخراف المتسللة الى كارلوس الذي سيحس بخطأ تكرار ذلك فلا يفعل هذا مرة أخرى.

وسمعت ليان صوت ريكاردو يغني بنبرته التي مازالت غاضبة، واعتقدت ليان التي كانت ترتدي ملابسها بعدما أخذت حماماً، أن عودة ريكاردو بسرعة تشير الى أنه لم يضيع وقتاً في مناقشة أخيه غير الشقيق.

وتخيلته وقد ألقى بالأغنام المقتولة أمام كارلوس كما تخيلته وهو يرمق ايزابيلا، ان كانت قد حضرت هذا المشهد بنظرة نارية، فهذا كله يحدث بسببها. ولكنها ليست مخطئة، فيجب على ريكاردو أن يدرك أن من حقها أن تختار من تحب.

ودخل ريكاردو غرفتها بعدما استأذن هذه المرة في الدخول وانتظر حتى أذنت له. وأحست بأنه مرهق وفي داخله احساس عميق بالقلق يفوق مايعانيه من ارهاق بدني. وسألها وقد ضاقت عيناه :

«هل تجدين متعة في تحديك لي»

«كلا .»

«ظننت أنني لن أعرف شيئاً عن زيارتك لاستانسيا ريخا.»

«في الواقع كنت متأكدة أنك ستعلم بها.»

رفع حاجبيه قائلا :

«فأنت اذن لاتخشين غضبي؟»

فانتصبت تقف في مواجهته ودقات قلبها تسرع لكنها حرصت على أن ترفع رأسها وهي تقول له:

«وهل كل ما تريده هو أن أخشاك؟ وهل تلك هي وسيلتك الوحيدة لتضمن طاعتي لك. أردت زيارة ايزابيلا فهي المرأة الوحيدة في المنطقة التي يمكنني التحدث اليها.»

«ورأيت كارلوس أيضا. لقد كانت المتعة الكبرى لكارلوس هي أن يروغ من الحقيقة أمامي.»

«مثلما كانت متعتك في طرح أغنامه أمام قدميه.»

«انها أغنام ريخا، وقد تم تحذيره.»

وعندما حاولت أن تتكلم رفع يده قائلا:

«لن أسمع منك المزيد. فأنت تتحديني فقط، ولكنك تمضين معظم اليوم أيضا مع ضيفتنا!»

«أعتقد أنك طلبت السهر على ضيافته.»

«ولكن ليس بهذا الاسلوب الصارخ . ألا تظنين أن الخدم لاحظوا الطريقة التي تتحدثان بها وتضحكان وكيف أخذتما تلتمسان الأعذار للاقتراب من بعضكما.»

«ليس هذا بصحيح .»

«أحقاً؟ لقد لوحظ عليكما ذلك.»

«بواسطة اينيز على ما أظن.»

«لايهم بواسطة من. وأنني لن أسمح بشيء من هذا بعد الآن، واذا كنت لاتريدين انهاء زيارة ابن بلدك هذا لنا، فعليك الالتزام بآداب السلوك في التعامل معه. وفي الوقت نفسه عليك الابتعاد عن استانسيا ريخا.»

وظلت ليان تحملق في الباب لحظات طويلة بعد انصراف ريكاردو. انه رجل متصلب ولا يسهل الوصول الى قلبه. انها تذكر الأيام التي سبقت زيارة غرانت للبيت واقتحام ريكاردو غرفتها تلك الليلة. كانت هناك أوقات تشعر فيها بأنها توشك أن تتفهمه ولكن تلك الأيام ولت الآن ولم يعد بينهما الا العداء. وتساءلت اذا كانت تستطيع أن تتحمل فترة الخمسة أشهر المتبقية تنفيذاً لاتفاقهما. انها لاتستطيع أن تذهب الى اي مكان لو غادرت الاستانسيا، وحتى لو تركتها ستظل زوجة ريكاردو، فلا مخرج امامها من هذا الوضع. وأثناء تناول طعام العشاء لم تلاحظ أي تغيرّ في المعاملة بين ريكاردو و غرانت ، وبرغم ذلك فهي لاتعرف اذا كان ريكاردو قد تحدث مع غرانت بشأن زيارتها لأرض ريخا. وأبلغهما ريكاردو بأنه مضطر أن يسافر غدا بالطائرة الى تانديل رغم أن الجو سيكون عاصفاً، ومن غير الملائم أن يصحباه في هذا الجو، بل الأفضل لهما البقاء في المنزل. ولاحظت ليان من لهجته الممزوجة بالغضب والألم أنه يقصد معنى آخر بالجو العاصف خاصة وأنه أصبح لايثق في بقائها منفردين.

وبعد ذهاب ريكاردو في صباح اليوم التالي اقترح غرانت على ليان أن يتوجها لزيارة سانتينا على ظهر الخيل. فرحبت بالاقتراح فورا لرغبتها في

الذهاب الى أي مكان خارج مزرعة مندوزا. وعندما توجها الى الاسطبل نصحهما السائس بعدم ركوب الجياد في هذا اليوم لأن السحب الملبدة تنذر بالمطر فقالت ليان أنهما سيعودان قبل هطول المطر وهي تحس بأنهما ما لم يخرجا الآن فلن يتاح لهما ذلك مرة أخرى.

وبعد أن خرجا بالجوادين قال لها غرانت أنها في حاجة الى اتخاذ قرار، فطلبت منه عدم اثارة هذا الموضوع مرة أخرى. واقترح عليها أن يتسابقا فرحبت وقالت له إنها تستطيع أن تسبقه الى المضخة الهوائية التالية. وانطلقا في مرج وسط المروج والماشية والغيوم تتجمع فوق تلال سييرادي تانديل. واقترح عليها غرانت أن يتوجها الى محطة شحن الماشية بالسكك الحديدة، فقالت له أنها بعيدة والمطر يوشك أن ينهمر فأجابها بأنه لايهم أن تبتل ملابسها.

وبدأ المطر ينهمر وهما مازالا يبعدان مسافة كبيرة عن محطة الشحن فلجأ الى كوخ قريب للاحتماء به. ومع صوت الرعد قال لها غرانت أنهما قد لايتمكنان من مواصلة السير قبل مضي ساعات عدة. فقالت له:

«في أي الحالات يجب عليهما أن يواصلا السير.»

«أخائفة أنت مما قد يحدث اذا عاد ريكاردو قبلنا؟»

فردت وهي تتجنب النظر اليه:

«ريكاردو وصل الى تانديل الآن. وان استمر هطول المطر على هذا النحو فربما لايعود.»

«أعتقد أنه سيعود، ولو لمجرد التأكد من التزامنا بآداب السلوك. أنه لايثق في وجودي معك.»

«كلا، انه لايثق في أنا، وهو يعتقد أنني أشجع الناس على التودد اليّ.»

فرد عليها بنبرة حركت مشاعرها:

«حقاً انك تفعلين ذلك بأشد الأساليب رقة... إننا نجذب نحو بعضنا ولو كنا التقينا قبل زواجك هذا لحدث لنا الشيء نفسه.»

ونظرت إليه ليان وهي تشك في صحة مايقوله. فالظروف وحدها جمعت

بينهما وأثارت فيه مثل هذا الاهتمام بها. ولو كانا في مكان آخر لأصبحت في نظره فتاة عادية. وأدركت أن رجلا مثل غرانت يجب مواجهته بالتحدي. وسألته:

«ما الذي قاله لك كارلوس؟»

«قال لي مايكفي لأعرف أنك قد استخدمت كأداة. هل عرفت قبل زواجك منه السبب الذي دفع ريكاردو الى التعجيل باتخاذك زوجة على وجه السرعة.»

«نعم علمت.»

«ورغم ذلك فأنت مستمرة معه في هذا الوضع.»

فطلبت منه ليان ألا يتحدث معها في هذا الموضوع لأن الكلام لن يغير من الأمر شيئاً، وأنها أصبحت مرتبطة بهذا الرجل. فقال لها أنه ليس ثمة مايرغمها على أن تظل مرتبطة به وأنه يستطيع أن يخرجها من هذا الوضع اذا أرادت.

ومضت فترة من الصمت قالت ليان بعدها بنبرة مختلفة وكأنها تتحدث بصوت غير صوتها:

«أعلم أنك تحاول أن تكون لطيفاً ومتفهماً، ولكن لاحل لهذه المشكلة. فأنت ستذهب الى عملك وليس لي مال يخصني بالمرة، فهل أستطيع أن اقترض منك سلفاً يمكنني من العودة الى انكلترا وسأكون ممتنة لك دائماً.»

فتهلل وجهه وقال لها:

«ليان ، انني لا أحاول فقط أن أكون لطيفاً، فأنا أحاول أن أخرجك من هذه الورطه من أجلي مثلما هو من أجلك، ماذا أقول أعبر لك عن شعوري نحوك...»

وأطرق قليلا وأضاف بصوت أجش:

«انني أحبك ياليان. واعتقد أن حبي لك بدأ منذ أول ليلة، وعليك أن تدعيني أخرجك من هذا المكان، ويمكننا أن ننسق الأمر، فليس لريكاردو أي حق أدبي عليك.»

فردت عليه في ألم :

«ان له حقوقاً قانونية، ولا يمكنني أن اغادر أرض مندوزا فهو لن يدعني

أذهب.»

فقال لها بلهجة اصرار مفاجئة:

«لن نطلب منه هذا. فسوف نذهب الآن وقبل ان يعود، يمكنني أن استأجر طائرة من سانتينا وعندما نصل الى تشاكو سيجد من الصعب عليه أن يفرض عليك أي نوع من الحقوق.»

وشحب وجهها واتسعت عيناها وهي تقول:

«غرانت . هذا مستحيل، وأنت تعرف ذلك.»

فرد عليها بسرعة وبلهجة اقناع:

«كلا، ولا شيء يصبح مستحيلا اذا أصررنا على تحقيقه. يمكننا العودة الى البيت الآن خلال ساعة، ونستطيع اعداد أنفسنا وتغيير ملابسنا خلال ساعة أخرى، ونحتاج الى ساعتين أخريين للوصول الى سانتينا. ولن يعود ريكاردو قبل مرور هذه الليلة، وحتى اذا فعل فسنكون قد وصلنا الى تشاكو.»

«وماذا عن العاملين في المنزل؟»

«وماشأنهم بنا. هل سيمنعوننا من الذهاب. فليحاولوا ذلك.»

صحيح ان ليان لاتحب غرانت لكنها تشعر بالأمان وتشعر بأنها مرغوب فيها ولكن ليس كما يرغبها ريكاردو. وغرانت يعرض نفسه لمتاعب يفرّ منها معظم الرجال، ولكنه يجد أن الأمر يستحق المخاطرة، واذا كان معنى ذلك انه سيفوز بها في النهاية ومثل هذا الرجل من السهل الوقوع في حبه لأنها تريد أن تحبه وهما يستطيعان معا أن يواجها أي شيء. قد يحاول أن يفعله ريكاردو.

وقالت له بصوت أجش :

«اتفقنا، سأذهب معك ياغرانت ، فهيا نسرع، أرجوك!»

٨ ـ الهروب

وعادا الى الاسطبل حيث سلّما الحصانين الى السائس بدرو ، ثم دلفا الى المنزل من المدخل الخلفي عن طريق الفناء وصعدا الى الشرفة بدون أن يريا أحداً أو يراهما أحد. وقال لها أنه سيحضر أمتعته ويأتي الى غرفتها فأبلغته بأنه ليست لديها أية حقائب وأنها ستضع أشياء قليلة تخصها مع أمتعته. فقال لها أن في امكانهما شراء ما يحتاجان اليه فيما بعد ولن يستغرق وقتاً طويلاً في اعداد نفسه.

ودلف الى غرفتها من الباب المؤدي الى الشرفة، فأسرعت ليان بوضع أشياءها القليلة داخل حقيبته بدون أن تسمح لنفسها بأن تفكر في أي شيء، فقد أسلمت قيادها لغرانت. وأثناء نزولها على السلم لمحتهما إينيز بدون أن يخطر ببالها في تلك اللحظة معنى وجود الحقيبة مع غرانت. فقال لها غرانت بالأسبانية:

«نحن ذاهبان، ويمكنك أن تقولي لسيدك أننا لن نعود.»

ورغم شعور إينيز بالصدمة أشفقت على ليان مما سيفعله ريكاردو عندما تبلغه برحيل زوجته مع ضيفها. واستقل غرانت السيارة برفقة ليان في طريقهما الى سانتينا التي تبعد مسافة أربعين ميلاً تقريباً. وكان المطر ما زال ينهمر ولكن ليس بالشدة نفسها التي كان عليها منذ بعض الوقت. وساد الصمت بينهما لفترة من الوقت أحس فيها كل منهما بالتوتر الذي يعتمل في صدر الآخر. وعندما أصبحا عند مشارف البلدة كانت ليان تهتز من داخلها وتشعر بأنها مريضة. وأخذت تحدث نفسها عما تفعله هنا مع غرانت؟ وكيف يحققان سعادتهما معاً بالهرب؟

ولو كان غرانت يشعر نحوها بتلك المشاعر التي حدثها عنها لبقي وواجه ريكاردو وقال له أنه يعتزم أخذها معه.

ولكن هذا ليس عدلاً لأن ريكاردو سيطلب من رجاله عندئذ وضع غرانت في أحد القطارات المتجهة الى الساحل وربما لقنه درساً أيضاً لكي يذكره عند عودته الى وطنه.

وعندما وصلا الى مطار سانتينا أدركا أنه لا توجد سوى طائرة واحدة جاهزة للايجار ـ الا أن الطيّار غير موجود ولا بد من الانتظار بضع ساعات. فاقترح عليها غرانت أن يبيتا في سانتينا حتى الصباح او يأخذا قطار الساعة السادسة والنصف الذي يتوجه نحو الساحل. فقالت له أنهما لو باتا الليلة هنا فمن المؤكد أن ريكاردو سيعثر عليهما. فرد عليها بأن هناك وسيلة لمنعه من ارجاعها معه إذا عثر عليها وذلك بأن يثبتا له أن كلا منهما يحب الآخر وبذلك يمنعه كبرياؤه من أن يعود بها. فقالت له بنعومة:

«ولكنه قد يقتلنا معاً.»

«ولماذا يفعل هذا، إنك بزواجك أعطيته ما يحتاج اليه، وليس ثمة ما يدعوه الآن لأن يقوم بدور كلب الحراسة معك.»

«لقد ذكرت الكبرياء الآن ، وهذا وحده سيكون سبباً كافياً.»

ونظرت ليان الى وجهه وقالت له بصوت يعبّر عن الشك الذي يعتمل في نفسها:

«غرانت ، هل أنت واثق من مشاعرك نحوي، اذا كان كل ما تريده هو أن تقضي ليلة معي...»

فقاطعها غرانت بصوت حاد وهو يجذبها ويضمها وقال:

«لايمكن أن يكون الأمر هكذا! من تظنينني ؟ انني طبعاً أريدك، ولكن ليس لليلة واحدة، انني أريد أن أتزوجك.»

وحاولت أن تبتسم وأن تصدقه وهي تقول:

«وماذا عن خطة السنوات الست.»

«الى الجحيم بهذه الخطة فقد وضعتها قبل أن أعرفك.»

والى الجحيم أيضاً بعملي في تشاكو إذ يمكنهم العثور على واحد غيري.

فردت عليه باحتجاج:

«لا يمكنك أن تتخلى عن عملك تماماً. لن أجعلك تفعل هذا من أجلي.»

«لا يمكنك منعي، وأنا لن أتخلى عن عملي، بل سأترك تلك الوظيفة فقط ويمكنني أن أعثر على غيرها بسهولة.»

وبدأت ليان تحس بالآثار التي ستنجم على المدى البعيد عن التصرف الذي يقدمان عليه. فقد تحطمت حياتها الآن كما سيفقد غرانت كل شيء، ومهما كان شعوره نحوها الآن فسوف يأتي وقت يكرهها فيه عندما يشعر بأنها السبب في انهياره. وجذبت يديها من بين يديه قائلة:

«لا فائدة من هذا، الأمر كله جنون، سوف أعود يا غرانت .»

«كلا!»

«بل يجب أن أعود، استخدمتك كوسيلة للخروج من موقف كان يمكن ألا أقع فيه لو أحسنت التصرف انني لا أحبك، ولا أعتقد أنني أستطيع أن أروض قلبي على حبك.»

فقال لها في اصرار:

«لا أعتقد هذا فأنت تقولين ذلك لاعتقادك بأنني أقوم بتضحية ما عندما آخذك معي. ولوكنت لا تشعرين بشيء ما نحوي لما وافقت على الفرار معي.»

«لم أقل أنني لا أشعر بشيء نحوك...»

وقال لها:

«وما المشاعر التي أثارها فيك ريكاردو؟ هل يعوضك حبه عن أي شيء آخر؟ هل هذا هو كل ما لا تريدين تركه؟»

فهزت رأسها قائلة:

«ريكاردو لم يبد الحب نحوي، فما بيننا هو اتفاق عمل، وبعد خمسة أشهر أخرى سأكون حرة في مغادرة هذا المكان، ومن ثم فلا داعي لكل هذا.انني آسفة

لتضليلك على هذا النحو يا غرانت ولم أكن أريد أن تتطور الأمور الى هذا الحد.»

«لا أعتقد هذا فأنت تقولين ذلك لاعتقادك بأنني أقوم بتضحية ما عندما آخذك معي. ولو كنت لا تشعرين بشيء ما نحوي لما وافقت على الفرار معي.»

«لم أقل أنني لا اشعر بشيء نحوك...»

وقال لها:

«وما المشاعر التي أثارها فيك رياكاردو ؟ هل يعوضك حبه عن أي شيء آخر؟ هل هذا هو كل ما لا تريدين تركه؟»

فهزت رأسها قائلة:

«ريكاردو لم يبد الحب نحوي، فما بيننا هو اتفاق عمل، وبعد خمسة أشهر أخرى سأكون حرة في مغادرة هذا المكان، ومن ثم فلا داعي لكل هذا. انني آسفة لتضليلك على هذا النحو يا غرانت ولم أكن أريد أن تتطور الأمور الى هذا الحد.»

ونظر اليها وكأنه يراها لأول مرة وسألها عن نوع الاتفاق الذي تم بينهما فقالت:

«أقصد أنه استأجرني لأعيش معه ستة أشهر حتى يفي بشروط وصية أبيه. واذا رحلت فعلاً الآن سوف أخسر ثروة صغيرة.»

فهز رأسه بشدة وقال لها:

«لا أقبل هذا الكلام، ولكنني أعلم أنك يائسة من الفرار، وأي مبلغ من المال لم يكن ليغريك على البقاء معه ان كنت قادرة على الرحيل.»

ولمس وجهها في رقة وهو يقول:

«ليان أسعدني كلامك الذي قلته الآن كما لم يسعدني أي كلام آخر من قبل، وكنت أعتقد أنك تعيشين مع ريكاردو بكل مشاعرك رغم أنك لا تحبينه. إن رجلاً مثله ما كان له أن يتركك وشأنك، ولو كنت مكانه لفعلت الشيء نفسه.»

فردت عليه بقولها:

«ليس من الانصاف أن أذهب معك وأنا أعلم أنني لا أحبك. ولا بد أن أعود لأنني ملزمة التزاماً أخلاقياً بأن أتم ما بدأت.»

ورد عليها في اصرار متجدد:

«لن أتخلى عن هذا الأمر بسهولة. وأنا لا ألومك لعدم تصديقك حقيقة مشاعري نحوك، فأنا استحق هذا بسبب إقتراحي بأن ندع ريكاردو يرانا سوياً. لنذهب الى البلدة الآن ونبحث عن مكان نبيت فيه.»

وعندما رمقته بنظرة سريعة تدارك قائلاً:

«حسناً، لنبحث عن مكانين للمبيت.»

وأحست برغبة مفاجئة في العودة الى مزرعة مندوزا. قد لا تكون سعيدة هناك، ولكنها على الأقل تعرف أسوأ ما فيها. وتوسلت الى غرانت أن يتركها تأخذ السيارة وتعود، على أن يستقل هو القطار في الصباح، فأجابها بأنه لن يذهب بدونها. وأدار محرك السيارة وتحرك بها. وتوجهت الى غرفتها في الفندق لتستريح بعدما أبلغها غرانت بأنه سيلتقي بها في الثامنة. واضطجعت على سريرها الصغير وهي تفكر اذا كان ريكاردو قد عاد الى المزرعة أم أنه يمضي ليلته في تانديل كان يجب عليها أن يأخذا السيارة ويواصلا السير بها حتى يصبحا بعيداً عن متناول يد ريكاردو. ولكن هل هذا ما تريده حقاً؟

انها إذا اتخذت تلك الخطوة الأخيرة فإنه سيفقد مزرعة مندوزا. فهل يحتمل ضميرها وزر هذه الفعلة ما بقي لها من عمر؟

وسمعت دقات على الباب فنظرت في ساعتها وسط الظلام فاذا هي تشير الى الثامنة إلا الربع. لقد حضر غرانت مبكراً عن موعده. فنهضت واتجهت لفتح الباب بدون أن تشعل أنوار الغرفة، ووجدت نفسها فجأة أمام وجه ريكاردو المتجهم فتسمرت في مكانها بدون أن يبدو عليها أي تعبير وقال لها:

«البسي حذاءك، هناك سيارة تنتظر في الخارج.»

وسألته بدون أن تبدي حراكاً:

«أين غرانت ؟»

فرد عليها والشرر يتطاير من عينيه السوداوين:

«أتجرؤين على النطق بإسمه أمامي! لقد خرج من نطاق رعايتك الآن.»

وإبيض وجهها وهي تقول:

« ريكاردو ، أرجوك قل لي ماذا فعلت به؟»

«لم أفعل به شيئاً، وسوف يوضع في القطار صباح غد بدون أن يناله أي أذى لينقله الى السال بعد أن يتلقى تحذيراً بألا يرجع مرة أخرى.»

«وإذا عاد؟»

فقال في لهجة تحمل معنى التأكيد الصارم:

«سوف أقتله، هيّا البسي حذاءك والا اخذتك من هنا حافية القدمين.»

وقالت له وهي تسرع باطاعته أن لديها بعض الأشياء تريد أخذها، فطلب منها أن تترك كل شيء مكانه. وتركها تخرج أمامه، وعندما مرت أمام غرفة غرانت أحست بأنها يجب أن تفعل شيئاً، ففتحت الباب بسرعة لتجد غرانت جالساً على سريره وبجواره رجلان من مزرعة مندوزا يحرسانه. فسألها غرانت اذا كانت على ما يرام وشكا لها من أن هذين الحارسين يقيدان حركته وأنه في ذعر منهما. وهنا تدخل ريكاردو وأبلغه بأن هذين الرجلين لديهما تعليمات بالمحافظة عليه الى أن يحين موعد سفره في القطار. وقال له أنه محظوظ لأنه لم يتبع معه الوسائل الأخرى التي تتبع مع رجل مثله.

وأدركت ليان أن تلك هي فرصتها الوحيدة للتحدث الى غرانت فقالت له بسرعة:

«غرانت ، انصت الى ما أقوله لك، انني أريدك أن تذهب وتنسى هذه المسألة تماماً، كنت سأعود في أي الحالات، وقد أبلغتك بهذا منذ قليل، إنني آسفة لما حدث.»

فنظر اليها بحدة ثم رفع كتفيه مبدياً موافقته وقال لها إنه آسف هو أيضاً. وجذبها ريكاردو عندئذ خارج الغرفة وغادرا الفندق واستقلا السيارة في طريق العودة. وبدأت ليان تتحدث الى ريكاردو عندما خرجت السيارة من

سانتينا ...

«كنت أعني ما قلته منذ قليل ، كنت فعلاً سأعود.»

فرد عليها في جفاف وسخرية:

«هذا واضح، كنت ستعودين عن طريق الساحل كما أعتقد أليس كذلك؟»

«كلا، وأنا أعرف أنك لن تصدقني.»

«وما دام الأمر كذلك فمن الأفضل أن تلزمي الصمت أثناء الرحلة، فأنا لست مستعداً الليلة لمجادلاتك.»

فردت عليه وقد وصلت الى حافة اليأس:

«لا بد من مناقشة الأمر، فلا يمكنك أن تتجاهل ما حدث.»

فقال لها في رقة:

«سأفعل ما أريده، وهذا ما سترينه، عندما عدت من تانديل بعد ظهر اليوم كان هذا لابلاغك بحدوث تغيير في شروط اتفاقنا.»

«تقول تغيير؟»

«إنني أريد إبناً وسوف تنجبينه لي.»

فابرقت عيناها واعتدلت في جلستها وهي تقول له:

«كلا، إنني أفضل الموت على هذا.»

فرد عليها بسخرية:

«من السهل عليك أن تقولي ذلك الآن، ولكن الحياة حلوة، عندما علمت برحيلك كنت أعتزم قتلك، ولكن هذا هو ما منعني، إنك محظوظة.»

فنظرت اليه ليان في حدة قائلة:

«اتفاقنا لمدة ستة أشهر، وقد قطعت لي وعداً.»

«أعطيتني أنت أيضاً وعدك. اننا الآن متكافئان.»

وبدا عليه الغضب لأول مرة منذ مغادرتهما الفندق. وقال لها:

«سبق أن قلت لي إنني لا أختلف عن أبي، وربما كنت على حق في هذا. فقد كان أبي يأخذ ما يريده بدون مراعاة لمشاعر الآخرين، وإنني أعتزم أن أفعل هذا

الليلة. ومن الآن فصاعداً سنعيش كزوج وزوجة.»

وأطرق هنيهة كأنه يتوقع رداً منها، ولكنها أطبقت شفتيها دون أن تنطق بكلمة، فأضاف قوله:

«وفي اليوم الذي تنجبين لي فيه ولداً سأمنحك مبلغاً من المال يجعلك تعيشين حياة مرفهة. ويمكنك في تلك الحالة الذهاب الى صديقك غرانت.»

وتنفست في توتر وقالت:

«وهل تظن أنني سأوافق على هذا؟ هل تعتقد أنني سأترك طفلي معك؟»

«الطفل سيصبح أحد أفراد أسرة مندوزا أي ارجنتيني»

وهز كتفيه بعدم مبالاة وهو يضيف:

«وبرغم ذلك تستطيعين البقاء معه اذا شئت بوصفك أمه.»

فرمقته ليان وهي لا تصدق ما تسمعه وقالت له بنبرة مذبذبة:

«أتقول إذا شئت، لماذا تفعل هذا يا ريكاردو ؟»

فرد عليها بوجه متوتر:

«وقع كارلوس أمس في الخطأ عندما ذكرني بأنني اذا لم أنجب وريثاً فان أرض مندوزا ستؤول الى أسرته، وأنا لن أسمح بحدوث ذلك.»

«وما الذي أدراك بأنني سأنجب أطفالاً؟»

«ولماذا أشك في هذا، فأنت شابة وفي صحة جيدة.»

فردت عليه في غضب وحرارة:

«كالماشية التي تصلح للانجاب.»

واندفع جسمها الى الأمام عندما أوقف السيارة فجأة وبعنف. وقال لها انه ليس حيوان، وأنه سيعرف كيف يجعلها هي نفسها تتوق الى ما يريده. وغاصت ليان في مقعدها وهي تحس بأنها فزعة من ريكاردو ، ولم يكن مصدر فزعها اعتزامه معاشرتها معاشرة الأزواج، وانما كانت تخشى أن تقع هي في حبه، قد يرغمها على أن تسلم اليه ولكنه لا يستطيع أن يمتلك عقلها ومهما يكن فان الحب ليس أمراً حيوياً بالنسبة اليه.

وعندما وصلا الى المنزل كانت إينيز تقف في الانتظار وهي تنظر اليها بدون أن تبتسم وبدون أن يظهر أي احساس بالانتصار في نظرتها. وصعد ريكاردو أولاً ثم طلب من ليان أن تلحق به ولكنها وقفت مكانها فقال لها:

«هيا اصعدي إلى غرفتك قبل أن أحملك اليها بنفسي ولن يجلب لك هذا سوى المهانة.»

وطوقها بذراعه ورافقها في الصعود. فسألته في توتر شديد وهي تشير الى ما يعتزم عمله معها الليلة:

«أتقصد أن تلحق بي مزيداً من المهانة؟ أليس كذلك؟»

«أنني زوجك واعتزم مشاركتك الفراش، وسواء أتم ذلك برغبتك أم بدون رغبتك فالأمر متروك لك.»

وتوجه كل منهما الى غرفته، وأحضرت إينيز بعض الطعام والحساء والقهوة الى غرفة ليان ورمقتها بنظرة ذات معنى. فالمعتاد ان الزوج يضرب الزوجة الهاربة بعد أن يعيدها الى البيت. وهذا ما يجعل إينيز تفسر سبب مظهر الخضوع الذي تبدو به ليان الآن.

وارتشفت ليان قليلاً من القهوة المرّة وجلست في توتر تنتظر مجيء ريكاردو. لا فائدة من قيامها باغلاق الباب لأنه يستطيع أن يخلعه من مكانه ويطرحه أرضاً فهو بيته وهي زوجته وليس أمامها أي مكان آخر تلجأ اليه لتكون في مأمن منه.

ودلف ريكاردو الى غرفتها في هدوء وأغلق الباب خلفه.

٩ ـ الدم البارد

واستيقظت ليان من نومها المتقطع وهي تضع يدها أمام عينيها كأنها تحاول أن تمنع بداية يوم جديد. وكان ريكاردو قد غادر الفراش قبلها بساعات متجهاً الى غرفته بدون أن يتفوه بأي كلمة ترضية لها. كانت تجربة مؤلمة بلا أي متعة. لكنها ستظل تقاومه حتى يكف عن محاولة نيلها بالقوة. ونهضت من فراشها وارتدت الملابس التي اشتراها لها ريكاردو من سانتينا يوم وصول غرانت الى المنزل لزيارتهم. وأحست ليان من طريقة تحية خدم البيت لها أنهم عرفوا بأحداث اليوم السابق وهو مايحدث عادة في المجتمعات الصغيرة.

وقررت ليان أن تسرع الى الاسطبل فهي تعلم أن ريكاردو ربما يركب رأسه ويخرج لامتطاء الخيل في الصباح الباكر، وقررت أن تواجهه في ضوء النهار لكي ترد بمظهر اللامبالاة من جانبها على نظرة الازدراء التي لابد أن تصدر عنه ان شعوره بالانتصار سيكون نابعاً ، في جانب منه من احساسه بأنه تمكن من اذلالها تماماً أثناء تجربة الأمس واستطاع اخضاعها لرغباته. ولكنها لاتستطيع أن تخضع أبداً له، وكلما أسرعت بتأكيد هذا له كلما كان ذلك أفضل.

كان الصباح لطيفاً والجو مبللاً بالرطوبة على نحو يلائمها. وأخذت ليان تفكر في أنها لو أنجبت لريكاردو الطفل الذي يريده فانه سيكبر على حب

تلك الأرض مثلما فعل أبوه. وقالت لنفسها أن هذا لايمكنه أن يحدث ، ولايمكنها أيضاً أن تنجب طفلاً من رجل لايشعر نحوها بأي عاطفة.

كان ريكاردو على مائدة الافطار في الفناء عندما عادت ليان الى البيت فصعدت الى غرفتها للاغتسال وتغيير هندامها ونزلت الى الفناء واتخذت مقعدها على المائدة وهو ينظر اليها نظرة لاتكشف عما في نفسه وان كانت تعني أنه يتذكر ما حدث بالأمس . وقال لها:

«لم تخبري احدا بالمكان الذي ذهبت اليه؟»

«بدرو يعلم أنني ذهبت لامتطاء روخو.»

قالتها في رصانة وبدون أي إرتباك وهو يتفحصها ببصره. وأخذت تصب قدراً من العصير في كوبها وقالت له:

«لم يعد الجو حاراً، كما كان عندما جئت الى هنا اول مرة ، سأحتاج الى بعض الملابس الشتوية لأحتمل فصل الشتاء.»

«يمكنك شراء ماتحتاجينه من سانتينا.»

فقال بلهجة متعمدة :

«لم يفت الوقت بعد.»

«أتقصد أنك ستضربني ان لم أبد احتراماً كافياً لزوجي؟»

فابتسم في سخرية وقال لها:

«أقصد أنني سآخذك فوق ركبتي وأضربك كالطفل ويبدو انك مصممة على أن تظلي كالطفل.»

فردت عليه رداً مفحماً، إذ قالت:

«لاأستطيع أن اكون طفلة، وقد تأكدت من ذلك بنفسك ليلة أمس»

فصمت بعض لحظات قبل أن يحدق فيها بتعبير يصعب معرفة كنهه وقال لها:

«أتريدين مني أن أعتذر لما حدث؟»

فردت عليه وقد تبددت خطتها التي كانت تقضي بأن تظهر بشعور اللامبالاة

نحوه:

«كلا، لا أريدك أن تعتذر، ولماذا تفعل هذا؟ أنني ملك لك في أي حال، ومن المفروض أن تستفيد مني الفائدة الكاملة.»

«هل تعتقدين أنك قدمت تلك الفائدة؟»

ولم تستطع عندئذ أن تسيطر على اندفاعها وهي تقول له:

«هذا هو أقصى ماتستطيع الحصول عليه مني.»

وهز كتفيه بلا إكتراث وقال :

«كما تشاءين.»

ان الأمر ليست له أهمية تذكر بالنسبة اليه، ولماذا اذاً تضايق نفسها من جديد في حين أنها كانت تدرك هذا من قبل؟ في استطاعته أن يأتي الليلة وفي أية ليلة أخرى يشاء ليمارس حقوقه المزعومة بدون أن تستطيع منعه، وسيكون الثمن طفلا مجرداً من العاطفة كأبيه لم تعد تحتمل التفكير في هذا.

لقد اضطرت لتناول الطعام عندما قدمته لها خوانيتا، برغم انها لم تكن تشعر بالجوع.

وتذكرت فجأة أنها لم تذق اي طعام منذ تناولها الأفطار أمس ، وهو مايبين كيف أن الطعام لايهم كثيراً عندما يكون الفكر مشغولا.

وتركها ريكاردو قبل أن تنتهي بدون أن يعبأ فيبلغها بموعد عودته وأصبحت ليان وحيدة من جديد وعليها أن تبحث عما يسرّي عنها وحدتها. غرانت سيكون في تلك اللحظة في القطار الذي يسرع به نحو الساحل. ولم تكن هناك فائدة ترجى حتى لو كانت قد رحلت معه. فهي لاتحب غرانت ، ولا تحب أحداً بالمرة، وقد تجردت الآن من أية مقدرة كانت تملكها لتمارس الحب ، وهذا خير لها.

وبينما كانت ليان تتجول عند المدخل الحجري للضيعة رأت سيارة لاندروفر تقترب وتنزل منها ايزابيلا التي قالت في دهشة عندما لمحت ليان :

«هل هذا معقول؟ أكانوا يكذبون عندما قالوا أنك هربت مع غرانت ادواردز؟»

«هذا صحيح، لقد أمسك بنا ريكاردو، هل جئت لرؤيته؟»

«كلا، جئت لرؤيتك أنت، أليس ريكاردو هنا؟»

«كلا. أليس هذا بغريب؟ إنك تعتقدين أنه لايمكنه الآن أن يطمئن لبقائي بعيداً عن نظريه. لكن غرانت في القطار الآن وفي طريقه الى الساحل ، ولايمكنني أن أرحل من هنا.»

فردت عليها ايزابيلا في رقة وهي تستعطفها:

«ليان ، أرجوك لاتكوني هكذا، واذا كان ريكاردو جعلك تعسة الى الحد الذي دفعك الى تركه فانه لايستحق الشفقة، ولكنه مازال زوجك.»

وردت ليان في تهكم :

«وهو لهذا يستحق أن يحظى بي ولاء، أنني آسفة يا إيزابيلا، فما كان يجب أن أقول هذا الآن، لاتقلقي بشأني فسوف تتحسن حالتي.»

«لا أستطيع أن أمنع نفسي من القلق . فأنني أحب ريكاردو وقد تمنيت أن أصبح يوماً ما صديقة لزوجته. وما حدث كان يجب أن يظل سراً بينكما وحدكما، وقد جئت لأعرف حقيقة الأمر، وفي الواقع هناك مسألة أريد التحدث معك فيها ولا أعرف كيف أبدأ الكلام.»

فدعتها ليان لدخول المنزل للتحدث في الداخل ولكن ايزابيلا قالت لها أنها لاتستطيع ذلك قبل الحصول على بركة ريكاردو، وعندما سألتها ليان اذا كانت تقصد رضاه عن زواجها من كارلوس أجابتها بأن هذا جزء من الموضوع الذي ستحدثها عنه.

والتقطت إيزابيلا أنفاسها ثم تنهدت وأضافت قائلة:

«استمر العداء بين زوجي وزوجك لفترة طويلة، ولن يتحقق بينهما اي وفاق قبل أن يتوقف كل منهما عن كراهية الآخر لأسباب لايمكن أن تتغير.»

«منذ يومين عندما أحضرت الستيور ادواردز الى بيتنا روى له كارلوس القصة بالتفصيل من جهة نظره، وأبلغه بأن رحيلك عن أرض مندوزا سيحلّ

الكثير من المشكلات.»

ونظرت إيزابيلا الى ليان نظرة تناشدها فيها أن تتفهمها وهي تضيف قائلة:

«أرجوك ألا تحكمي على كارلوس بقسوة، اذ أشعر بأن السنيور ادواردز يميل اليك واعتقد انك ربما تتجاوبين معه بعض الشيء.»

وأدركت ليان في سخرية أنها تستحق ماجرى لها فقد أخطأت في تقدير مدى فطنة كارلوس، ودهشت كيف أن اقتراح كارلوس أثر في تصرفات غرات على هذا النحو، وردت على إيزابيلا قائلة:

«لن أحكم على كارلوس بالمرة، ولست في وضع يسمح لي بأن أصدر حكمي على أحد.»

وابتسمت ايزابيلا وهي تسألها:

«هل هذا لأنك تزوجت من ريكاردو بدون اعطاء نفسك الوقت الكافي لمعرفته من الداخل؟ قيل أن المرء لايمكنه أن يعرف شخصا آخر الا اذا عاشره لفترة طويلة، وكارلوس مازال غريباً عني من عدة نواحي، الا أننا نزداد قرباً من بعضنا البعض في بطء لأننا نريد ذلك وهناك أشياء يفعلها ولاتلقى رضا مني ولا أستطيع أن أتسامح فيها وهذا ما يجده هو أيضا بالنسبة الي. الزواج يعني ضمن مايعنيه أن يتعلم كل من الطرفين تحمل أخطاء الطرف الآخر لأنه من النادر تغيرها.»

ومضت ايزابيلا قائلة في بطء:

«عرفت ريكاردو لعدة سنوات وكان رجلا يصعب الوصول الى قرارة نفسه وأرجو أن تسامحيني لأنني اعتقدت أنك لم تبذلي جهداً كافياً للوصول الى قرارة نفسه.»

فأومأت ليان برأسها وهي تسألها:

«وهل تعرفين لماذا تزوجني؟»

«عرفت سبب زواجك منه بسرعة، ولكن إذا كان كل مايريده هو الوفاء بشروط

الوصية فلماذا انتظر حتى أصبح الوقت متأخراً جداً؟»

كانت هناك الكثيرات تتوق كل منهن لأن تصبح سنيورا مندوزا. وقالت ليان لنفسها أن هؤلاء لم يكن يردن الزواج منه لفترة محدودة كما هو الأمر بالنسبة اليها.

وأحست ايزابيلا بأنها أطالت الكلام في أمور تخص ليان وريكاردو فطلبت منها المعذرة، فردت عليها ليان بأنه لاداعي للاعتذار وأن كل مافي الأمر أن لكل منها وجهة نظر مختلفة ، وسألتها ليان عن كيفية استقبال كارلوس للخراف التي قتلها ريكاردو فأجابتها بأنه كان لذلك وقع سيء عليه. أما والدها ريجا فقد وجه اللوم الى كارلوس لأنه سمح للخراف بأن تجول في أرض مندوزا، وهو يعتقد أن ريكاردو له الحق في الاستحواذ على ضيعة مندوزا.

وعندما سألتها ليان اذا كانت ترى هذا الرأي أجابتها بأنه يجب على الآخرين أن ينسيا الماضي وأن يقنع كل منهما بما لديه وأنها ستحاول إقناع زوجها بهذا على أن تفعل هي أيضا الشيء نفسه مع زوجها.

واستأذنت ايزابيلا في الانصراف لأنها لاتريد أن يعرف كارلوس بأمر تلك الزيارة، وقالت لها أنها تأمل في أن يأتي يوم تصبحان فيه صديقتين حميمتين.

وحان وقت طعام العشاء فتناولت ليان طعامها مع ريكاردو بدون أن تعرف له طعما، وأدركت أنه لافائدة من مقاومته، ووجدت أن من الأفضل لها أن تغمض عينيها وتفكر في انكلترا مثلما كانت تفعل النساء في العصر الفكتوري عندما يواجهن مثل هذا الموقف. ولكنها تداركت امرها وأخذت تعنف نفسها بقسوة فالأمر ليس هزلا. وأمسكت بكأس الشراب تفرغها في جوفها في حين أخذ ريكاردو يحدق فيها ووقف وسكب لها كأساً أخرى. وخامرتها فكرة أن تقف وتسكب الكأس على الأرض، فما الذي يمكنه أن يحدث اذاً؟ ريكاردو لايمكنه أن يفعل لها أسوأ مما فعله. ونهض ريكاردو وأدار إسطوانة من الموسيقى

الكلاسيكية فسألته عن اسم تلك القطعة الموسيقية فقال لها إنها تدعى «في مراعي آسيا الوسطى» من تأليف بورودين، وسألها اذا كانت تفضل موسيقى خفيفة، ولكنها قالت إنها تحب تلك الموسيقى فهي تحرك المشاعر، فقال لها ان هدف هو الهدف من تلك القطعة الموسيقية فهي تجعل المرء يحس بمدى تعاسة المزارع وفقره، وبالتالي يشعر بالنعمة التي بين يديه.

وفي الساعة الحادية عشرة أدركت أن أياً منهما لابد وأن يبدأ في الانصراف فأخبرته بأنها ذاهبة الى النوم، ولكن لم يبد عليه أي رد فعل واستمر في الشراب فصعدت الى غرفتها وهي قلقة ومتوترة وتتوقع دخوله غرفتها بين لحظة وأخرى. وأخيراً سمعت وقع قدميه وهو يمر أمام غرفتها متجهاً الى غرفته، ومرت ساعة تأكدت بعدها أنه لن يحضر اليها، وبعد ساعتين أخريين استسلمت الى النوم. وخلال فترات من حياتها لم تستطع نسيان تلك الساعات التي أمضتها بلا نوم وفي توتر وقلق شديدين.

ويبدو أنه لم يعد في عجلة من أمره وهو يتوقع أن تصدر منها هي اولا أية مبادرة في هذا الشأن، وبدأ يعاملها في فتور من هذه الناحية، ولكن انتظاره سيطول لأن أفضل سلاح في يديها هو التصرف معه بفتور وبلامبالاة.

ولاحظت ليان تحسن معاملة لينيز لها بعدما بدأت هي نفسها تمارس دورها معها كسيدة للبيت. وأخذت ليان تفكر في جدية في ممارسة حياتها وواجباتها المنزلية حتى ولو كان ذلك سيتم بصفة مؤقتة.

وذات مساء، قال لها ريكاردو أن البرد يزداد من يوم لآخر وأنه يجب التعجيل بقيامها بالرحلة التي سبق أن قرر القيام بها الى سلسلة تلال سيرا فردت عليه ليان بأنها غيرت رأيها ولم تعد ترغب في القيام بتلك الرحلة. فقال لها انه هو نفسه لم يغير رأيه وسوف يقومان بالرحلة صباح غد ويضربان خيمتهما هناك لمدة ليلتين، وأضاف بصوت رقيق:

«اعتدت ركوب الخيل ويمكنك قضاء أيام فوق ظهر الحصان بدون أن يسبب لك ذلك أي عناء»

«وهل سنقوم بكل الرحلة على ظهر الخيل؟»

«سبق أن أخبرتك بأن هناك اماكن كثيرة لايمكن للسيارة أن تمر فيها»

وحدق فيها بضع لحظات ثم أضاف:

«الأفضل لي ولك أن نبتعد لبعض الوقت عن أرض مندوزا.»

فردت عليه بلهجة تحمل معنى الاصرار:

«هذا لن يغير شيئاً من حقيقة مشاعري.»

«انني كفيل بأن أحدث تغييراً في مشاعرك، وعندما تعودين من تلال سييرا ستكونين امراة أخرى متخصصة في فن ارضاء الرجل ولن تقومي بعد ذلك باثارة غضبي الشديد.»

«يمكنك أن تقود الحصان الى الماء ولكن...»

«هذا يتوقف على مدى شعوره بالعطش. ان أمثالك الانكليزية ليس لها أي تأثير هنا، ولا أريد لابني أن يولد في الجو السائد بيننا الآن.»

ولم تستطع أن تخفي النبرة المتهكمة وهي تقول له:

«افترض أنني انجبت بنتاً، فماذا ستفعل اذاً؟»

فهز كتفيه بلا اكتراث وقال لها:

«الاحتمال ضئيل، فعائلة مندوزا اعتادت منذ القدم أن تنجب ذكوراً أكثر من الاناث.»

«سوف أذكرك بهذا في حينه.»

«لاداعي لأن تذكريني بأي شيء... ولو حدث وأنجبت بنتاً فسوف نحاول مرة أخرى، أليس كذلك؟»

فقالت في تحد:

«سيتم هذا في برود مثلما حدث في المرات السابقة.»

فرفع حاجبه وهو يقول لها:

«انصتي الي، أنني لست من ذوي الدم البارد ولهذا فانني أصر على الا تكوني أنت من ذوي الدم البارد.»

وناداها وهو مستلق على احدى الأرائك قائلا:

«تعالي اليّ الآن وفورا.»

فقالت في تشدد:

«كلا.»

فقال لها في حدة وبدون أن يرفع صوته:

«أتريدين مني أن أجبرك على الحضور..تعالي فوراً.»

ولم تكن هناك فائدة من تحديه، وهو يستمتع على ما يبدو باخضاعها لمشيئته، فسارت نحوه وجثت على ركبتيها بجوار الأريكة وعيناها يشع منها بريق التحدي وسألته اذا كان هذا يكفيه أم يجب ان تضع رأسها تحت قدميه. فوضع كفيه على وجهها وجذبها نحوه قائلا:

«انا لا انوي اخضاعك، أما اذا كانت تتطلعين الى قيامي باخضاعك بالقوة...»

فقالت ونبضات قلبها تسرع:

«كلا، لاتفعل.»

وشدد قبضته عليها قائلا:

«قولي: أرجوك، قولي تلك الكلمة التي نادرا ماتقولينها، قولي أرجوك ياريكاردو، وعندئذ سأفكر فيما اذا كنت أستجيب لرجائك.»

وأدركت أنه لافكاك لها منه قالت له:

«أرجوك.»

فتركها عندئذ تفلت من بين يديه وهو يضحك وسألها اذا كان يسبب لها كل هذا الخوف. وصمت قليلا ثم قال لها في رقة:

«سوف تقولين لي أرجوك فيما بعد لسبب آخر. ففي ليلة الغد سنرقد معا تحت النجوم، ولن تثوري ضدي لعدم وجود رغبة لك في ذلك، وهذا وعد يمكنك أن تفكري فيه وأنت تأوين الليلة الى فراشك.»

ووقف وضمها الى صدره وهو ينظر الى عينيها الخضراوين وتركها تنصرف قائلا:

«انعمي واستريحي، فأنت في حاجة للراحة استعداداً لرحلة الغد.»

وفكرت ليان وهي تتركه أنها في حاجة الى المزيد من الراحة فعلا، وفي حاجة الى كل ذرة من قوة الارادة لتقاوم أي محاولات من جانبه لكسب عواطفها.

* * *

١٠ ـ سقوط السيّد

غادرا المنزل في الصباح والشمس تملأ المكان وقد تأخرا بعض الشيء بسبب المشكلات التي أثارها في اللحظات الأخيرة مديرو الأقسام في المزرعة وأخذ حصانها يتدلل كالطفل ويقترب من حصان ريكاردو وعندما أمرها ريكاردو بأن ترغمه على الاعتدال في سيره قالت له انه لا يطيعها. فقال لها إن سبب ذلك أنها لا تتبع الحزم معه، وأضاف إن الحيوان يستجيب بسرعة للتوجيه.

وفهمت ليان من حركة شفتيه أنه يقصد المرأة أيضاً. ونظرت الى يديه وهما تقبضان في قوة على اللجام وأحست بأنه يعامل الحصان أحياناً بأفضل مما يعاملها هي. ولكنها أدركت أن هذا الاحساس يفتقر الى الانصاف لأن ما عانت منه على يديه سعت اليه بنفسها.

ورأت الخيمة التي يحملها ديابلو حصان ريكاردو ولكن هذه الخيمة لن تستخدم الا في حالة هطول المطر، لأنهما، كما قال ريكاردو ، سيناما تحت النجوم. ولهذا أحضر معه الملاءات اللازمة، واذا احتاجا الى مزيد من الدفء فسوف يكتسبه كل منهما من الآخر.

وسألته عن الوقت المتبقي للوصول الى تلك التلال فقال لها ربما خمس أو ست ساعات اذا سارا بتؤدة، وأنه لا داعي للاسراع فردت عليه في جفاف:

«كلا ليس هناك ما يدعوه بالمرّة لذلك.»

ولاحظت أنه ينظر اليها في مكر ثم سألها:

«ألا تفكرين أنك ستصبحين وحيدة معي الليلة؟

«كنت وحيدة معك من قبل.»

ولم يعقب على هذه اللفتة الساخرة ولكنه قال لها:

«كان هذا في الماضي، ولكنك لن تلبثي أن تنسي كل هذا.»

وشدت اللجام في توتر مما جعل روجو يهز رأسه الى أعلى وقالت له بانفعال:

«لن أنسى أبداً، لأنه لا فرق بين هذه الليلة وأية ليلة أخرى ولن آتي اليك أبداً برغبتي يا ريكاردو .»

فابتسم في تباطؤ وقال لها:

«اليوم سيكون طويلاً ولن تتبقى لك قوة لمقاومتي...»

«وهل هذا هو السبب الذي جعلك تصحبني معك كل هذه المسافة على ظهر حصان.»

«نحن ذاهبون الى تلال سيرا لأنك سبق أن أعربت عن رغبتك في زيارتها.»

«اذاً كل ما في الأمر أنك تريد ادخال السرور الى نفسي.»

فتطاير الشرر من عينيه ولكنه سيطر على نفسه بسرعة وقال لها:

«لن تثيري غضبي بكلامك، فقد فعلت ذلك كثيراً في الماضي أما هذه المرة فستواجهين عواطفك الحقيقية وأنت مجرّدة من هذا السلاح الدفاعي.»

وتساءلت ليان بينها وبين نفسها عن حقيقة عواطفها، فهي تريد أن تعرفها. قد تقول لنفسها أنها تكرهه ولكن هذا جزء فقط من عواطفها. إنه صادق في كلامه ولكنها تريد أن تعرف مدى عمق المشاعر التي تحاول تغطيتها واخفاءها. وقالت لنفسها انها لو أنجبت طفلاً لريكاردو فتصبح ملزمة بالبقاء معه في مطلق الحالات، وربما تكون قد حلمت فعلاً بهذا الطفل برغم أنها ابتهلت الى السماء ألا يحدث هذا. فالحمل بدون حب أمر كريه.

وأدركت ليان أن الصراع انتهى، وأضفى عليها هذا الاحساس نوعاً من الشعور بالسكينة. فما دامت قد ارتبطت بهذا الزواج عليها إذاً أن تجعل منه زواجاً موفقاً بقدر ما تستطيع. وريكاردو قد يحبها، ولكنه يحتاج اليها ولو كأم لطفله على الأقل. ومن هذه البدايات ربما تستطيع بناء شيء يستحق كل هذا

العناء.

وفي الواحدة بعد الظهر توقفا لتناول طعام الغذاء، ولاحتساء القهوة التي صنعاها فوق موقد غاز نظراً لعدم وجود عشب جاف في تلك المنطقة، وسألها ريكاردو وهي تنظر الى الطبيعة من حولها حيث أصبحت التلال الصخرية قريبة الآن والسماء تتناثر فيها السحب والسهل ترعى فيه الماشية .

«هل ما زلت تشعرين بكراهية نحو هذا المكان؟»

«انني اتعوده شيئاً فشيئاً وهذا يتطلب بعض الوقت.»

«ألا يحدث هذا بالنسبة الى كل شيء، ربما كان ادراك ذلك هو نصف المعركة.»

ولاحظت ليان أن نطقه للعبارات الانكليزية تحسّن، فأبلغته ذلك،فقال لها أن نطقها هي أيضاً للأسبانية تحسن وخصوصاً أنها أصبحت تعرف اللهجة المحلية ولعل خوانيتا ساعدتها في هذا. وعندما سألته اذا كان ثمة ما يحول دون اقامتها أية علاقة شخصية مع الخدم أجابها بأنه لا يرى ما يحول دون اقامتها أية صداقة بينها وبين خوانيتا بشرط ألا تشجعها على التذمر من وضعها في الحياة. وأخذ يحدثها عن تاريخ أسرة مندوزا التي ترجع الى بدرو دي مندوزا أول من أنشأ المستوطنة التي أصبحت فيما بعد بوينس أيرس .

وعندما لاحظت ليان أن مؤسس اسرة مندوزا الأرجنتينية هو من الغزاة الأسبان، قال لها ريكاردو ان هذا صحيح تماماً مثلما فعل الانكليز باستعمارهم الكثير من الأراضي، من أجل الاستيلاء على الأرض والسلطة والثروة. وأطرق هنيهة وقد توترت نظراته ثم قال:

«والنساء أيضاً... وبدون امرأة كنت أنا نفسي سأفقد اثنين من الأشياء الثلاثة الأخرى التي ذكرتها.»

وطلب منها ريكاردو مواصلة الرحلة فوصلا الى التلال بينما تشارف الظهيرة على الانتهاء. وتقدم ريكا ردو وسط الصخور وليان خلفه بحصانيهما. ومع مغيب الشمس استطاع ريكاردو أن يعثر على مأوى يبيتان فيه وسط تجويف صنعته الصخور، ولم تكن هناك حاجة لنصب الخيمة اذ لم

يكن الجو عاصفاً، وبرغم ذلك انشغل ريكاردو بنصب الخيمة واعداد الفراش داخلها في حين انهمكت ليان في شواء شرائح اللحوم واعداد طعام العشاء على النار التي خففت من وحشة الليل.

وتجنبت ليان النظر الى وجه ريكاردو عندما جاء لأنها لا تريد التفكير فيما سيحدث الليلة وفضلت أن تترك كل شيء لوقته.

وبعد انتهاء تناول العشاء أشعل ريكاردو النار من جديد واستلقى على ظهره وقد وضع كفيه تحت رأسه وسألها اذا كانت تنزعج من لمسة يديه. فهزت رأسها في سخرية، وعندما قال لها انه يستطيع اخضاعها بالقوة اذا اضطر الى هذا أجابته بأنه لا يحتاج الى استخدام القوة لأنها ستؤدي واجبها نحوه، فسألها في دهشة:

«أي واجب؟»

«أليس هذا هو ما تسعى اليه؟ زوجة وديعة مستسلمة تنفذ شروط عقد الزواج بكل حذافيره؟»

فرد عليها بعد لحظة:

«أفضل مقاومتك لي من جديد.»

«اذاً لن أفعل هذا.»

فقال لها وقد اغتبط فجأة:

«فهمت قصدك، إنك تأملين من خلال التظاهر بالهدوء أن يفتر اهتمامي. ولكن هذا لن يستمر وأستطيع أن أؤكد لك...»

«لا تكن واثقاً الى هذا الحد.»

«بل انا واثق ومتأكد، وسوف ترضخين لا لأن هذا واجبك ولكن لأنك أنت تريدينه.»

فردت عليه بصوت منخفض:

«من أجل وريث لأرض مندوزا .»

فاعتدل واتكأ على أحد مرفقيه وقال:

«كلا، فأنا أريدك يا ليان، وقد أردتك منذ الليلة الأولى التي التقينا فيها، ولكن المرء لا يمكنه أن يظفر بكل شيء، اذ كانت أمامي أولويات أخرى في ذلك الحين ذات أهمية أكبر كما اعتقدت. ولم أكن أتطلع الآ الى الوفاء بشروط وصية أبي.»

وعندما ذكرته أنه وعدها بمنحها حريتها بعد تنفيذ الوصية ذكرها هو أيضاً أنها وعدته بأن تكون مخلصة، وأنه سبق لها أن ناقشا هذا الأمر من قبل.

وأحاطت ليان ركبتيها بذراعيها وهي تحدق في اللهب بتركيز وسألته قائلة:

«لم تسألني من قبل عما أشعر به نحو غرانت.»

«لا ضرورة لذلك فقد استخدمته كوسيلة للهرب من وضع لا تستطيعين التكيف معه، وهو بالنسبة اليك لا يمثل أكثر من هذا.»

«فهمت قصدك، اذاً فهو الطرف البريء؟»

«ليس هذا ما أقصده، وأنت تعلمين هذا، ولو أنني اعتقدت أنه هو المسؤول عن كل هذا لما تركته يفلت بسهولة، لقد خان كل منكما ثقتي فيه.»

«أنت متحدث بارع، ولكنك اعترفت بأنك قررت تغيير شروط اتفاقنا حتى قبل أن تعرف بأمر ذهابي مع غرانت.»

«اننا بذلك نصبح زوجين، وهي بداية صالحة.»

وصهل أحد الحصانين ليرد عليه الحصان الآخر بصهيل مماثل، وسمع صوت أحد الحيوانات عن قرب فقال لها ريكاردو إنه ابن آوى ولن يقترب من النار، ونهض ريكاردو وأحضر بعض العشب ليضعه فوق النار... ثم ضمها وأسند رأسها الى صدره ورافقها الى داخل الخيمة وهو يقول لها في رقة:

«انك الآن امرأة كاملة، امرأة صغيرة، كيف تشعرين؟»

فقالت في لهجة تهكمية تمنت ألا يحس بها:

«هذا رائع، إنك عاشق ممتاز يا ريكاردو!»

فرد عليها في سخرية:

«أشكرك، انه شيء سار أن يعرف المرء من يقدر جهده.»

فنظرت اليه وهي تحاول عبثاً أن تتفهم ما يختبئ من أحاسيس في عينيه وقالت له:

«هل تفضل أن أقول لك بدلاً من ذلك إنني أحبك؟»

فرد عليها دون أن تتغير تعبيراته:

«وهل هذا صحيح؟»

فصمتت لحظة ثم قالت له وهي تهز رأسها:

«كلا.»

«اذن لا فائدة من قولك، كما أنه غير مفيد لو قلتها أنا لك.»

وجذبها اليه وهو يقول لها:

«اننا ببساطة سنستفيد استفادة أكبر مما نحن عليه، فما زلنا في أول الليل.»

واستيقظت في الصباح عندما رفع ذراعه عنها وقام لتغيير ملابسه وأخذت ترقبه خلسة وعندما لاحظ ذلك رفع حاجبيه في مكر. وسمعت صوت الحصانين وهما يصهلان ويتحركان في قلق. وقال لها ريكاردو انه ذاهب لاشعال النار واعداد طعام الافطار وانه لا داعي لمغادرتها الفراش وسوف يدعوها عندما ينتهي من هذا. وكانت ليان في شوق شديد لأن يقبلها قبلة الصباح مثلما يفعل الأزواج مع زوجاتهم ولكنه لم يفعل.

وأحست برغبتها في الاغتسال فقامت وسألت ريكاردو اذا كانت هناك كمية كافية من الماء العذب للاغتسال فقال لها انه توجد بركة وسط الصخور القريبة، ولكن عليها إحضار شيء لتثبيت شعرها ورفعه الى أعلى لئلا يبتل، فلما أعربت عن دهشتها قال لها إن ماء البركة عميق، وسألها اذا كانت تعرف السباحة فأجابته، وهي مازالت تظن أنه يداعبها بأنها تجيد السباحة ولكنها لم تحضر لباس الاستحمام. فضحك وقال لها:

«وهل لهذا أهمية، لم تكن عيناي مغلقتين ليلة امس.»

«الوضع يختلف...»

وبدأ يتحرك نحو البركة وهو يقول لها

«انا سعيد لأنك تفكرين بهذا الاسلوب ، هيا تعالي.»

فوقفت مكانها متجاهلة كلامه وهي تنتظر منه أن ينظر اليها وقالت له:

« ريكاردو هل تحاول اذلالي؟»

«اذ لالك! كان يجب فعلاً أن أتصرف لاذلالك... هل ما زلت غير ناضجة الى الحدّ الذي يجعلك تحتاجين الى التستر بالظلام قبل أن تكشفي عن نفسك لي؟»

فردّت عليه في غضب:

«الأمر لا علاقة له بالنضوج، فمن حقي أن أنفرد بنفسي وقتما أشاء.»

«لا حق لك إلاّ ما قبلت أنا أن أمنحك اياه، متى تفهمين ذلك؟ فأنت زوجتي التي أمتلكها، وعليك أن تفعلي ما أطلبه منك، هيا اذهبي وخذي حمامك وحدك إن أردت أيتها المحتشمة الصغيرة، ما زال أمامك ان تعرفي الكثير عن العلاقة بين الزوج وزوجته.»

وأخذت حمامها في البركة التي كانت مياهها باردة وعميقة وعادت الى ريكاردو وهو يحدق فيها بسخرية ووجدته حليق الذقن، ولم ينطق بكلمة وانما أخذ المنشفة وذهب يستحم ولمّا عاد كانت قد أعدت له طعاماً خفيفاً من البيض وسألته وهو يأكل:

«الى أين سنذهب اليوم؟»

فهز كتفيه في استخفاف وهو يقول:

«ربما نعود الى أرض مندوزا .»

فنظرت اليه في تساؤل ودهشة وقالت:

«ولكنني اتذكر أنك قلت سنمضي يومين على الأقل.»

فتقابلت عيناه مع عينيها بدون أن يبتسم وقال:

«لا فرق بين البقاء هنا والعودة الى مندوزا ، ولن أحتمل بعد الآن أسلوب الاستهجان الصبياني الذي تتبعينه.»

فحاولت ليان الالتزام بالهدوء وهي تقول له:

«أتقول استهجان، لأنني رفضت أن أستحم معك؟»

«أتظنين أن هذا هو كل ما في الأمر! أتعتقدين أن كل ما يهمني هو أن أضعك في موقف مهين حتى أستمتع بمضايقتك؟»

وترك طبق البيض في غضب بدون أن يكمل طعامه وقال:«هل خطر في بالك أنه كان في استطاعتي أن أصل الى هذا الهدف بسهولة من خلال استغلال رفضك كذريعة لارغامك على تنفيذ ما أطلبه منك؟»

فهزت رأسها وقالت له في ألم:

«أسأت الفهم، فأنا لم أستهجن قولك، وانما كنت في حرج.»

فابتسم ابتسامة تفتقر الى روح المرح وقال:

«ولكنك لم تكوني محرجة عندما أخذتك بين ذراعي...»

فقاطعته ليان وقد احمرّ خداها وقالت:

« ريكاردو، ما هذا بانصاف.»

«أتقصدين أنه ليس بالوضع السليم، وأنت تشعرين بالذنب، ولكنك تقولين لنفسك بأنه لم يكن امامك خيار حتى يستريح ضميرك. ولهذا فلكي يصبح زواجنا زواجاً فعلياً لن أتيح لك حق الاختيار في أي شيء، وأنا الملوم لأنني لم أفعل هذا من قبل، وهذا ما سيحدث من الآن فصاعداً.»

«الأمر لن يختلف بالمرة عن الوضع الذي نحن فيه.»

«أتعتقدين ذلك؟ سأثبت لك أن هناك إختلافاً، هيّا أعدي حاجياتك فسوف نعود الى أرض مندوزا .»

ولم ينطق أي منهما بكلمة أثناء طيّ الخيمة وربطها ووضع السرجين على الحصانين، وساعدها في القفز فوق روجر وقفز هو فوق ديابلو واتجه في طريق العودة. وبلغا منتصف المسافة الى المزرعة عندما وقع الحادث الذي تسبب فيه روجو ، فبينما هما يصعدان بالحصانين مكاناً مرتفعاً قفز روجو محاولاً أن يسبق ديابلو فاصطدم صدره بمؤخرة ديابلو الذي مال الى الخلف وسقط فوق ريكاردو عن ظهره وارتطم رأسه بأحد الصخور، فسارعت ليان بتوجيه روجو بعيداً عن ريكاردو ونزلت جاثية على ركبتيها بجوار ريكاردو

الذي أخذ الدم ينزف من رأسه وهو لا يبدي حراكاً. كان يتنفس ولكنه فاقد الوعي، وحال وجهه الى الاصفرار.

وبدأت ليان تتمالك نفسها لكي تتمكن من التصرف وانقاذه، فالاستسلام للخوف والذعر لن يفيد. وكان أول ما يجب عليها أن تفعله هو وقف نزيف الدم. وأحضرت أحدى زجاجات الماء التي كان يحملها روجو، ومزقت أحدى القمصان وبللت قطعة قماش بالماء النظيف وأخذت تنظف في خفة المنطقة المحيطة بالجرح ثم ضمدته بقطع أخرى من القماش.

وعندما انتهت كانت شفتاها ترتعدان ورأت أنه من غير المناسب بقاؤه مع تلك الاصابة تحت الشمس، فاستخدمت كل قواها لجرّه الى ظل صخرة، وهي لا تدري كيف تمكنت من تحريك جسمه الضخم على هذا النحو. ولم يكن أمامها ما تفعله بعد ذلك سوى أن تجلس الى جواره وهي تبتهل الى الله أن يكتب له الحياة وتمنت لو كان بالقرب منها أحد يمكن أن تستغيث به فهي لا تعرف كثيراً عن اسعاف الاصابات.

وبعد مضي ساعة بدأ ريكاردو يفتح عينيه في اعياء الى أن تمكن من تمييز وجه ليان فوقه وهي تنظر اليه في قلق شديد. وسألها عما حدث وهو ينطق حروف الكلمات بصورة متقطعة سببت لها مزيداً من القلق والأسى، وأجابته بأن ديابلو سقط فوقع عن ظهره وارتطم رأسه بصخرة. وطلبت منه ألا يحاول الكلام فقد يكون جرحه خطيراً. وسألها متى حدث ذلك فأجابته بأنه حدث منذ حوال أربعين دقيقة وأنه قد يكون مصاباً بارتجاج في المخ ويجب عليه ألا يتحرك. لكنه قال لها يجب أن يتحرك ويغادر هذا المكان واستند على ذراعه حتى تمكن من الجلوس ولكنه أغمض عينيه وأوشك أن يفقد وعيه من جديد، وعندما فتح عينيه قال لها وهو يبتسم ابتسامة باهتة إنه على خطأ والحركة تبدو صعبة بالنسبة اليه وسألها اذا كان الحصانان قريبين فردت عليه وهي تحاول أن تحبس دموعها وتشعر بقلق شديد عليه:

«ليسا بعيدين.»

فقال لها وهو يحاول عبثاً أن يتحدث معها بطريقته المعهودة في الأمر والنهي:

«اذاً احضريهما فعندما أمتطي صهوة الجواد سأتمكن من التحكم فيه.»

«ريكاردو ، أرجوك لا تفعل، لن تستطيع ركوب الخيل وأنت على هذه الحالة.»

فنظر اليها نظرة طويلة ثم ضاقت عيناه من الألم وهو يقول:

«ليس هناك بديل.»

«بل هناك بديل، أستطيع أن أذهب بالحصان طلبا للنجدة وسأترك لك ماء وطعاماً وتبقى كما أنت في الظل وسأعود اليك مع النجدة قبل حلول الظلام.»

فأمسك بيدها ووضعها على صدره قائلاً:

«لا بد اذاً أن تنطلقي كالريح لتصلي الى الأستانسيا . كلا يا ليان لن أسمح بهذا، فليست لديك الخبرة للقيام بهذه الرحلة على ظهر الحصان.»

فردت عليه في اصرار:

«ليس هناك بديل، ولا يمكنك منعي فلست في حالة تمكنك من منعي.»

«أنت تريدين استغلال هذا الموقف.»

«نعم، اذا كنت مضطرة الى هذا.»

وابتسمت وقالت:

«من أجلك أنت.»

فرد عليها في حدة:

«بل من أجلك أنت، فبعد وقت قصير سأصبح قادراً على ركوب الحصان، انني أمنعك من الذهاب.»

وبدأت قواه تخور حتى لم يعد يستطيع أن يمسك بيدها فسحبتها عن صدره وهي تقول له:

«آسفة يا ريكاردو . لا أريد أن أتركك، ولكني مضطرة.»

وعندما ذهبت الى موقع الحصانين وجدت حصانها روجو مصاباً في ساقه اليسرى، لا يمكنه من العدو بسرعة، ولا مفر أمامها اذاً من أن تمتطي صهوة ديابلو ، وأخذت معها الملامات وعادت بها الى ريكاردو الذي كان مغمض

العينين ووجهه كالميت. وقالت له إن تلك الملاءات ستساعده على الشعور بالراحة. فقال لها إنه عندما يحاول الوقوف تسوّد الدنيا أمامه، وطلب منها ألا تسرع في طريقها وهي على ظهر روجو الذي يعتبر حصاناً متزناً. ولكنها لم تشأ أن تبلغه بأنها ستركب ديابلو. وسألته اذا كان يحتاج الى أي شيء آخر فقال لها أنه يحتاج الى الصبر الذي يستطيع أن يوفره لنفسه. وطلب منها أن تلزم جانب الحذر وألا ترجع بالسيارة وعليها فقط أن تبلغ خوسيه بالموقع حيث هو.»

واتجهت نحو الحصان ديابلو والتقطت أنفاسها قبل أن تمسك بلجمه، وتوجهه نحو صخرة قريبة لكي تصعد فوقها وتمتطي صهوته، وأخذ يتحرك بعصبية خشيت معها أن تسقط من فوقه وأخذت تستحثه على التقدم لكنه ظل متوقفاً. ثم تحرك فجأة وبقوة ظنت معها أنها لن تقدر على التحكم فيه ولاحظت في الوقت نفسه، أن ديابلو يبذل كل جهده لاسقاطها عن ظهره. لن تذهب الى مزرعة مندوزا، وهذا ما قررته منذ البداية، لكنها ذاهبة الى مزرعة ريجا التي تعد أقرب بعدة أميال.

١١ ـ كراهية لاتقهر

لم تسقط ليان عن ظهر الحصان ديابلو رغم أنه كان يتصرّف معها بخشونة وهو يتحرّك بكل نشاط وحيوية، ومع التقدم في الطريق بدأت قوته تضعف ومما مكنها من التحكم فيه من جديد ووصلت أخيرا الى منزل ريجا وسط دهشة الجميع، وأسرعت ايزابيلا وكارلوس نحوها عندما شاهداها، واتسعت عينا ايزابيلا وهي تسألها في دهشة:

«ماذا حدث، ولماذا تمتطي ديابلو؟»

«ريكاردو مصاب وسط التلال.»

وعندما لاحظت كيف استقبل كارلوس كلامها في برود وقسوة، أخذت دقات قلبها تسرع، وأخذت تتوجه اليه بالرجاء لانقاذ ريكاردو فقد يكون أصيب بشرخ في الجمجمة وقد يموت. فرد عليها كارلوس بدون أن تتغير ملامحه الفظة وقال:

«اذا مات فسوف تؤول المزرعة اليك.»

فقالت له وهي تحاول اخراجه من حالة اللامبالاة هذه:

«لا أريد المزرعة بدون أخيك، إنه زوجي ياكارلوس وأنا أحبه كما تحبك ايزابيلا.»

واعترفت ليان بينها وبين نفسها بأنها فعلا تحبه برغم أنفها وبرغم الأسباب المعروفة، وهي لن تتركه يموت، لمجرد أن هذا الرجل الماثل أمامها يكرهه الى درجة

لم تكن تتصورها من قبل. وصاحت فيه بانفعال:

«يجب أن تلوما اباكما لا أن يلوم كل منكما الآخر. لايمكنك أن تترك ريكاردو هناك، مضرجاً بدمائه. لن أسمح لك بهذا.»

فصاحت ايزابيلا في كارلوس وهي تتصبب عرقاً وتهز ذراعه كي يهب لانقاذ أخيه، وبعد تبادل النظرات قال كارلوس :

«سأقوم باعداد سيارة، وسوف نحتاج الى حشية وبعض المخدات لفرشها في مؤخرة السيارة.»

وعندئذ أخذت ايزابيلا تشكره وهي تربت على صدره بيدها وعيناها مغرورقتان بالدموع، وطلبت من ليان أن تستريح وقالت لها إنه سيتم العناية بأمر ديابلو. وأسلمت ليان لجام الحصان الى أحد الخدم وسارعت بقولها:

«سأعود بالسيارة.»

فردت عليها ايزابيلا:

«لن تستطيعي العودة بعدما قمت بتلك الرحلة الطويلة. قل لها ياكارلوس ألاّ تذهب.»

فابتسم كارلوس في سخرية وقال :

«انها زوجة ريكاردو وليست زوجتي»

وشكرته ليان في رقة ولكنه قال لها في جفاف ، إنه يفعل ذلك فقط لأنها هي وزوجته طلبتا منه ذلك، وأن ريكاردو نفسه لن يشكرها لأنها حضرت الى هنا.

وقالت لها ايزابيلا، عندما انصرف زوجها لتفقد السيارة، إن هذا صحيح، فكل من الأخوين يتسم بالتصلب والقوة ويفضل الموت على أن يلتزم بشيء تجاه أخيه. وطلبت منها أن تساعدها في إعداد حشية وبعض المخدات لتوفير الراحة لزوجها وهو في طريق العودة. وقالت لها إن الرحلة ستكون طويلة لأنه يجب العودة ببطء إن كانت متأكدة من أنه أصيب فعلا بشرخ في الجمجمة وهو ما تأمل ألاّ يكون صحيحا، فردت عليها ليان بأنها لم تتمن في حياتها أن تكون مخطئة في شيء مثلما تتمنى ذلك الآن.

ورغم أن ليان كانت مجهدة وتشعر بألم شديد في ساقيها كلما حركتهما بسبب احتكاك السرج بهما مع عدو ديابلو السريع، فإنها لم تشأ أن تقول ذلك لايزابيلا و إلاّ منعتها من العودة الى التلال. وعندما طالت فترة اعداد السيارة بدأت الشكوك تساور ليان في أن كارلوس غير جاد في اعتزامه الذهاب لنجدة ريكاردو، وفجأة سمعت صوت السيارة تنطلق بدونها فصرخت بدون جدوى ودارت نحو الطريق الذي ستسلكه السيارة، ولما رآها كارلوس طلب من السائق التوقف فقفزت ليان فوق الحشية الموضوعة في المؤخرة وهي تنظر الى كارلوس في تحد.

قطعت السيارة المسافة من مزرعة ريفا الى الموقع الذي يرقد فيه ريكاردو جريحا في أقل من ساعة، بينما قطعت ليان تلك المسافة على ظهر الحصان في أربع ساعات. وعندما وصلا الى ريكاردو كان بين الوعي والغياب وضماداته ملطخة بالدم. وامتعض عندما رأى كارلوس وسأله في حدة:

«ما الذي جاء بك الى هنا ؟»

«زوجتك جاءتني تطلب المساعدة، ولم تمكنني هي و ايزابيلا من رفض المجيء لمساعدتك.»

وجثا كارلوس على ركبتيه وهو يتفحص ملامح أخيه، واقتربت ليان من ريكاردو وقالت له:

«أحضرنا سيارة تنتظر في أسفل الطريق، كارلوس ومانويل سيحملانك اليها.»

فأخذت عينا ريكاردو تبرقان من جديد وهو يتمتم قائلا:

«كان يجب عليك أن تذهبي الى أرض مندوزا، وليس من حقك أن تتحديني.»

«لم يكن لدي وقت ، وكانت مزرعة ريفا أقرب إليَّ. هذا ماكان يهمني. يجب عليك ألاّ تتكلم. فالزم الهدوء»

فابتسم ونظر الى أخيه وسأله في سخرية:

«ماذا تفعل لو كانت لك امرأة مثلها؟»

«أقدّرها وأصونها وأحمد الله على هذه النعمة، إنّ ليان على حق اذ يجب ألاّ تتكلم، فالزم الهدوء الآن حتى نحملك فوق المحفة.»

وإستغرق نقله الى السيارة بعض الوقت في حين تبعها الحصان روخو وهو يتحامل على قوائمه الثلاث بعد أن أصيبت ساقه الرابعة.

ولاحظ ريكاردو ذلك فنظر الى ليان وسألها:

«هل امتطيت ديابلو؟»

«لم يكن أمامي خيار، فقد أصيبت ساق روخو.»

وانتظرت ليان حتى تمّ نقل ريكاردو الى السيارة ثم صعدت لتجلس الى جانبه، في حين أخذ ريكاردو يرقبها وقد ارتسمت على ملامحه تعبيرات مبهمة وقال لها بلهجة مداعبة:

«سأتصرف معك عندما أصبح قادرا على ذلك، تعرفين أنني كنت سأمنعك من امتطاء ديابلو.»

فردت عليه وهي تبتسم:

«أعلم أنك ستشعر بالقلق إزاء امتطائي ديابلو ولهذا لم أبلغك بذلك، رأسه متحجر مثل سيّده، ولكننا تفاهمنا سوياً، ولم أسقط عنه بالمرة. أرجوك أن تكف عن الكلام ياريكاردو فأنت تحتاج الى قوتك لتحمل رحلة العودة الى أرض مندوزا.»

فمد يده لكي يمسك بيدها وهو يقول لها:

«لن أفعل إلاّ اذا أعطيتني يدك، وسنتحدث فيما بعد.»

وتنهد ريكاردو وأغمض عينيه وهو يسترخي في فراشه.

لم يتحدث كارلوس كثيرا أثناء الطريق، وعندما أصبحت أرض مندوزا على مرمى البصر كان الليل قد أرخى أستاره، وكان ريكاردو مستغرقاً في النوم، وعندما دخلت السيارة الى المزرعة، أخذ كل من العاملين فيها يسارع ليكون له شرف المشاركة في انزال المحفة من السيارة ومساعدة سيده.

وفتح ريكاردو عينيه مرة أخرى عندما جاءت اينيز مسرعة، وهي ترفع

يديها في قلق ولهفة وتحدث إليها في حدة بالأسبانية، ويبدو أن النوم أفاده إذ عاد الدم يسري في وجهه الذي كان شاحباً، وأصبح قادرا على أن يتكيء على أحد مرفقيه.

وطلبت ليان من كارلوس أن ينزل من السيارة ولكنه قال لها إن بيت مندوزا لم يعد بيته.

فقالت له في اصرار:

«يمكنه أن يصبح بيتك وبيتنا جميعاً اذا تفاهمت أنت وريكاردو.»

ولكنه لم يتزحزح عن موقفه وقال لها:

«فعلت ما طلبته مني، وربما هي حياتي الآن.»

وطلب من السائق إدارة محرك السيارة وهو ينظر الى ليان قائلا لها:

«ولكننا سنرحب بمجيئك لزيارة ايزابيلا ان شئت، فهي بحاجة الى صديقة مثلك.»

«وماذا بشأن ريكاردو؟»

«ستدركين أن ريكاردو يبادلني المشاعر نفسها فيما يتعلق بهذه المسألة، فلا يمكننا أن نكون أصدقاء، بغض النظر عن رغبتك ورغبة زوجتي اذهبي الآن الى زوجك، فلا بد أنه ينتظرك.»

ورحلت السيارة، وصعدت ليان الى ريكاردو وأخذت تسأله عما يشعر به فأجابها في تذمر:

«أستطيع الوصول الى سريري دون أن يحملني أحد اليه، وكل ما أحتاجه هو أن آخذ حماماً لأستعيد نشاطي.»

«يجب أن لا تفعل هذا، فقد قمنا باستدعاء طبيب من مزرعة ريجا وسيصل في أية لحظة، عليك أن تلزم الهدوء في سريرك الى أن يحضر الطبيب.»

فرمقها بحدة وهو يقول:

«لاتقولي لي ماذا أفعل وماذا أتجنب، فأنا الذي سأقرر لنفسي.»

وتذكرت ليان نصائح ايزابيلا لها عن كيفية معاملة الزوجة للزوج

وبدأت تتخلى عن روح الشجار وتلتزم جانب اللين وردت عليه قائلة:

«حسنا ياريكاردو . أعرف انك أصبت بارتجاج في المخ.»

ووصل الطبيب قادماً من سانتينا، قبل أن يتمّ نقل ريكاردو الى السرير الكبير المزدوج في الغرفة التي لم تدخلها ليان من قبل. وكان الطبيب يعرف ريكاردو جيداً وطلب إعداد الماء الساخن لتضميد الجرح وفحص جسمه ثم قال:

«أعتقد أنه مصاب بارتجاج في المخ، ولا أظن أنه أصيب بشرخ في الجمجمة. يجب أن يبقى في السرير لمدة أربع وعشرين ساعة على الأقل، وسنقرر بعد ذلك مايمكن عمله.»

ولكن ريكاردو قال انه مادام لايوجد شرخ في الجمجمة فلا داعي لبقائه في السرير، وطلب اعداد الحمام. فوقف الطبيب حائراً وأدرك أن لاجدوى من محاولة اقناع ريكاردو وترك بعض الأدوية ليتناولها اذا وجد صعوبة في النوم، ثم انصرف عائداً الى سانتينا. وقالت ليان لريكاردو:

«سأذهب لأخذ حماماً. هل أنت على مايرام؟»

فقال لها إن حمامه كبير ويتسع لشخصين، وعندما لاحظ أن وجهها احمر لونه، حاول تلطيف الجو وقال لها إنه آسف وتستطيع أن تأخذ حمامها وتغيرّ ملابسها وترجع اليه لأنّ لديها الكثير.

وقالت ليان لنفسها إن حبها لريكاردو حبّ من طرف واحد إذ يجب أن يحبها هو الآخر. فهي تحمل اسمه وسوف تحمل ابنه يوماً ما . ولكنه لن يشعر نحوها بالعاطفة التي تأكدت أنها تشعر بها الآن نحوه، وقد أكد له ذلك ليلة أمس بوضوح وعلى نحو يثير الاحساس بالانزعاج.

وعندما ذهبت لتستحم أدركت مدى إتساع الرقعة الملتهبة في ساقيها نتيجة احتكاكها بالسرج فتحاملت على نفسها وغسلتها بالماء الدافيء وبمحلول مطهر. وعادت الى ريكاردو فوجدته غيرّ ملابسه، وأبدى اعجابه بزيها، فذكرته برغبته التي أبداها في أن يتحدث معها، فرد عليها بأنه قال إنهما سيتحدثان سوياً، وأخذ

ينظر اليها كأنه ينتظر شيئاً ما وطلب منها أن تقترب منه وعانقها بحنان وقال لها في رقة:

«أنت شجاعة وتتمتعين بالحيوية أنا ممتن لك.»

«فعلت الواجب الذي تفعله أية زوجة حيال زوجها . هل انت غاضب لأنني ذهبت الى مزرعة ريحا ؟»

«لست غاضباً . وانما أشعر ببعض الأسف لأنك جعلتني مدينا لكارلوس .»

«اذاً عليّ أن أطلب من ايزابيلا أن تدبّر حادثا لكارلوس حتى تهب لانقاذه فتصبحان متعادلين من جديد.»

فتغيرت ملامحه وضاقت عيناه وقال لها:

«أنت تسخرين مني ياليان . وإذا كنت أشعر بالامتنان نحوك الا أنني لا أسمح لك بالتدخل في أمور لاتخصك.»

ورفضت ليان أن تتراجع وقالت له :

«لابد أن تلك الأمور تخصني. فأنا زوجتك ياريكاردو كما أنّ ايزابيلا زوجة كارلوس. من أجلها ان لم يكن من أجلي، أرجو أن تدفن هذا النزاع بينك وبين كارلوس، إذ لم تعد لديه الآن رغبة في الاستحواذ على مزرعة مندوزا . لقد قال لي هذا.»

«من الطبيعي أن يقول هذا، لأنه يدرك أنه لاتوجد أمامه أية فرصة للاستحواذ عليها.»

وبدا نافذ الصبر وهو يضيف:

«لن أجادلك في هذا الأمر فهي مسألة بيني وبين كارلوس.»

وتوقف هنيهة ثم هز كتفيه في سخرية وقال:

«أما بالنسبة لايزابيلا فقد اختارت الحياة التي تريدها لنفسها وعليها أن تتعايش على هذا الأساس.»

فلم تتمالك نفسها وقالت له:

«أحببتها أنت نفسك ، وأنت تكره كارلوس لأنه استطاع الفوز بها.»

«كنت أكرهه قبل ذلك بوقت بعيد، وأنت لاتعرفين شيئاً عن هذا»

«أسرد لي القصة حتى أفهم»

فأخذ ريكاردو يحدثها عن حياة الابتذال التي كان يحياها أبوه ورغم ذلك فانّ أمه ظلت تحبه وأخذت تذبل شيئاً فشيئاً وجمالها يخبو وشبابها يذوي من يوم لآخر حتى أصبحت تبدو أكبر من عمرها الحقيقي، وقال لها إنه يعتبر أباه السبب في بتدهور حالتها على هذا النحو، فسألته عما منعها من أن تأخذ أبنها، أي ريكاردو وترحل عن أبيه، فقال لها إنه ليس من السهل بالنسبة الى المرأة الأرجنتينية أن تفعل هذا وأضاف قوله إن كارلوس جاء ليعيش في المنزل بعد مضي شهر واحد ليس إلاّ على وفاة أمه، وكان ذلك بتدبير من أبيه الذي راقه أن يجعل من أخيه غير الشقيق غريماً لريكاردو، وطالما هدّد بعزمه على جعل كارلوس وريثه الوحيد.

ومضى ريكاردو قائلا :

«ولا شك أن كارلوس ابنه فهو وأنا متشابهان في الشكل والسلوك ، وقد بذل أبي وأخي غير الشقيق كلّ جهد مستطاع لحملي على ترك أرض مندوزا بمشيئتي، حتى لا يمكن لأحد أن يدعي أنني حُرمت من ميراثي الذي أستحقه، ولكنني أنا من جانبي كنت مصمما ألاّ أنفذ مشيئتهما، فلم أترك مندوزا.»

وتخيّلت ليان أي نوع من الحياة كان يحياه ريكاردو ورثت لحاله وقالت له:

«لا ألومك فلو كنت مكانك لتصرّفت كما فعلت أنت.»

«كنت ستفعلين هذا بكل تأكيد...وأنا اخترتك لتساعديني في الاحتفاظ بأرض مندوزا بسبب الروح التي تتحلّين بها.»

«ولأنك كنت يائسا وأوشك الوقت أن ينفد.»

«هذا صحيح، ودفعني الحظ الى ملهى ريوس في تلك الليلة...»

ثم نظر الى وجهها وهو يتفحصها وقال لها:

«هل ماحكيته لك يساعدك على تفهم السبب. الذي يجعل من الصعب أن أكون

صديقاً بأيّ فضل لكارلوس.»

«الخلاف بينكما عميق.»

«ولكنك مازلت تعتقدين بضرورة قيامي بخطوات لأنهاء العداء.»

«وهل تفيد تلك الخطوات في تغيير ماحدث ؟ إنّ أباك هو الذي غرس روح العداء بينكما، ولو ظللتما على ما أنتما فيه من عداء، لكان معنى ذلك أن أباك انتصر، أليس كذلك؟»

فرد عليها في حدة :

«كلا انه لم ينتصر بالمرة فقد فزت بأرض مندوزا، وفاز كارلوس بايزابيلا.»

ولم يكن ثمة ما يدعو الى التنويه بهذا فقد كان كل شيء واضحاً على وجه ريكاردو، وقالت ليان في ألم:

«كارلوس يحب ايزابيلا، أنا واثقة من هذا، ربما في البداية كان يريدها لنفسه لمجرّد أنك تريدها، لكن الأمر يختلف الآن.»

فنظر ريكاردو الى الفناء وقد وضع يديه في جيبيه وقال:

«أمل هذا، من أجل ايزابيلا، غدا سننتقل الى الجناح الآخر، أما الليلة فسوف تنامين معي هنا.»

«ولكن رأسك...»

فقاطعها وهو يضحك ويقول:

«رأسي لن يسوء حاله اريدك معي ياليان فهل تحرمينني من هذه الرغبة؟»

وأدركت ليان أنه يريدها معه لمنعه من التفكير في ايزابيلا، الفتاة التي أحبها وفقدها، الفتاة التي كان سيتزوجها لو لم يسرق أخوه قلبها. كانت تحس بعض مشاعره من قبل وهذا لن يخفف عنها الألم الآن. ولكن ما الفرق؟ إنّ شيئاً لم يتغير، تستطيع أن تمنحه مايحتاجه منها الآن بصفتها زوجته، وقالت له وهي تلمح الى شيء معين:

«لن أحرمك أي شيء، تريده، إنّ الوقت متأخر، أليس كذلك؟هل اطلب طعاماً»

«كلا سوف ننزل الى الدار فكل منا يحتاج الشراب.»

وأدركت ألا سبيل الى اثنائـه عن أي شيء يريده، فتلك هي طبيعتـه وشخصيته، فهل تراها كانت تحبه لو اختلفت شخصيته عما هي عليه الآن؟ إن طباعه هي جزء من نفسه، وهو الآن جزء منها.

***

١٢ ـ الحصار

تمت اعادة روخو لكي يمضي فترة راحة للعلاج قد تطول، الا أن السائس بدرو أكد لليان التي كان يساورها القلق عليه أنه سيصبح على ما يرام خلال أيام قلائل وأن كل ما يحتاج اليه هو الراحة.

أما ديابلو فقد أحضره الى أرض مندوزا أحد أفراد مزرعة ريجا، وبدا ديابلو وقد استعاد نشاطه وقوته من جديد. وجاء ريكاردو وأخذ يربت على رأس الحصان الذي كان يتحرك في قلق كلما نطق ريكاردو بعدة كلمات بالاسبانية وهو يمر بيديه على ظهر عنقه. وكانت هناك بعض الجراح في طريقها الى الشفاء في جنبه حيث سقط فوق الصخور، ومرر ريكاردو يديه على قوائمه الأربعة واطمأن الى سلامتها جميعها.

وقال ريكاردو لليان التي كانت ترقب ما يحدث:

«هيا تعالي لتحية ديابلو ، أريد أن أرى رد فعله ازاء أول سيدة تمسك بقياده.»

وقالت ليان لنفسها إنها ليست الأولى، ولكنها أطاعت ريكاردو وأخذت تمسح بيدها على عنق ديابلو وكتفه وهو ينظر اليها نظرة تشكك. وسألها ريكاردو اذا كانت ترغب في محاولة امتطائه مرة أخرى، فهزت رأسها قائلة:

«لا أعتقد أنني أرغب في ذلك، فما حدث بالأمس كان حالة خاصة، انه يفضل أن يشعر بيديك أنت تلامسان جسمه.»

فابتسم ريكاردو وأرسل ديابلو ليتم تثبيته في مربطه، وسأل ليان :

«هل شعرت بالآلم في ساقيك هذا الصباح؟»

«ليس بالدرجة التي كانتا تؤلماني بها من قبل، وأشكرك على اهتمامك بي.»

فرد عليها بدعابة ساخرة:

«اريد ان اعرف منك لو كانت اصابتي من الخطورة بحيث اقتضى الامر خلع ملابسي هل كنت تفضلين تركي انزف حتى الموت على ان تعرضي نفسك لهذا الحرج؟»

«لا تسخر مني، فما كنت لأفعل ذلك أبداً.»

فنظر اليها بشيء من الرقة وجذبها من ذراعها لكي تقترب منه وقال لها:

«أدخلت الراحة الى نفسي، أنت على حق، فما كان يجب أن أضايقك بكثرة الأسئلة والملاحظات، ان مسلكك سوف يتغير بمضي الوقت.»

فردت عليه باستخفاف متعمد:

«وطبعاً هذا سيحدث كلما ألف كل منا الآخر! ألا ترى أن هذا يولد الازدراء؟»

فرد عليها في حزم:

«لا أسمح لزوجتي باظهار الازدراء نحوي، سنظل زوجين لفترة طويلة يا صغيرتي، وعليك تهيئة نفسك لهذا، وقد لا يكون كل منا قد وجد في ذلك غايته، ولكن علينا أن نستفيد من هذا اكبر استفادة. هل تأكدت من تغيير غرف النوم؟»

«ليس بعد!»

«اذاً اذهبي وافعلي هذا الآن، أريد الغرفة الملحق بها غرفة تغيير الملابس.»

وأضاف في لهجة تهكمية متعمدة:

«ولكن ليس معنى ذلك أنني سأمضي جزءاً طويلاً من وقتي فيها.»

وقالت ليان لنفسها اذا كانت ستنجب ابناً لريكاردو فان هذا الابن سيكون ثمرة الحب ولو كان هذا الحب من جانب واحد أي من جانبها هي. فهذا أفضل من لا شيء، وقد اعتادت أن تقول هذا لنفسها في الأيام التي تلت ذلك، والليلة ستنسى أن هذا الحب هو من طرف واحد، ولا شك أن ريكاردو بما يبديه نحوها انما يجتاحها بلا تحفظ.

وبدأ جرح الرأس الذي أصيب به ريكاردو يلتئم وان خلّف ندبة دائمة

كان يصفها ريكاردو في أوقات المرح بأنها بمثابة هدية تذكارية، الى أن جاء يوم وجدته يضع اصبعه على جرحه وفي عينيه نظرة فهمت منها أن الجرح سيظل يذكره بما عليه من دين نحو أخيه.

انها لا تستطيع أن تبعد عن تفكيرها النزاع القائم بين ريكاردو وكارلوس. هل سيظل افراد الجانبين يعانون طوال حياتهم من الغربة عن بعضهم رغم أنهم أقرب الجيران؟ وهل ستظل هي وايزابيلا تتزاوران خلسة في أوقات متباعدة بدلاً من أن تستطيعا التزاور كما تفعل زوجتا الأخوين؟ وماذا سيحدث بالنسبة الى اطفالهما؟ قد يصبحون جزءاً من هذا الوضع المليء بالشحناء الذي قد يستمرّ لعدة أجيال ما لم يتم اتخاذ شيء ما بهذا الشأن. ولكن كيف؟ لا يبدو أن هناك وسيلة تتيح لها أو لايزابيلا التدخل الآن.

وفي أحد الأيام قامت إيزابيلا بزيارة مفاجئة لمنزل منتوزا بالسيارة عندما لم يكن ريكاردو موجوداً، وشعرت بالارتياح لأنها وجدت ليان وحدها، وقالت:

«جئت برغم أن هذا قد يثير غضب ريكاردو فإن كلا منا تحتاج الى الأخرى يا ليان، ان لم يكن زوجانا يجتاحهما الشعور نفسه.»

وابتسم وجهها الجميل وهي تعتذر عن تناول القهوة وتطلب عصيراً بدلاً منها.

وسألتها ليان فجأة ومشاعر الحسد تجتاحها:

«أنت تنتظرين مولوداً، إنني سعيدة جداً لك، ومتى موعد الولادة؟»

«بعد ثمانية أشهر ولكن هذا لم يتأكد طبياً بعد، ورغم هذا فإننا نحن النساء نفهم مثل تلك الأشياء، أليس كذلك؟»

«طبعاً، وكيف يشعر كارلوس وهو يحسّ بأنه سيصبح أباً؟»

«انه في قمة السعادة، الا أن هناك أشياء تعكر عليه سعادته ولا يريد أن يحدثني عنها. ليان ما الذي سنفعله بشأن زوجينا؟ هل سنتركهما يمضيان في حماقاتهما؟»

«وماذا نحن فاعلتان؟ هل هناك مجال آخر للاختيار أمامنا؟ لقد تعايشنا مع أحقادهما لفترة طويلة ولن يصبح من السهل عليهما أن يتصافيا عندما يطلب منهما ذلك.»

وتنهدت ايزابيلا وهي تقول:

«تلك الأحقاد غرسها أبوها الذي لم يحبّ أيا منهما.»

«أحقاً لم يحب أياً منهما؟»

«طبعاً، أتظنين العكس؟»

فردت ليان في تردد قائلة:

« ريكاردو يعتقد شيئاً مخالفاً لهذا.»

«انه مخطيء، فريكاردو ابنه الشرعي وهذا يجعله يشعر بنوع من الارتياح، أما كارلوس فانه لم ينس منشأه، وليس هناك ما يرتبط به. أرأيت اذاً كيف جعلهما أبوهما يتصارعان كي يسبب لهما التعاسة.كان رجلاً يجد متعته في تلك الأمور وكان كل من الأخوين يظن أن أخاه هو الذي يلقى الحظوة من أبيه، وقد فوجيء كارلوس كما فوجيء ريكاردو بشروط الوصية.»

«ولكنه كان مستعداً لقبول تلك الشروط.»

«أراد أن يثبت لريكاردو أنه من أسرة مندوزا تماماً مثله. وكنت في غاية الامتنان عندما جاءبك ريكاردو الى هنا كي تعملي على وضع نهاية لهذا كله. برغم أن الأمر اقتضى مني وقتاً طويلاً كي أحمل كارلوس على ادراك وجه الحق في النزاع، وهو سعيد الآن ببناء حياته في أرض ريجا.»

«ولكنه غير مستعد ليقول هذا لريكاردو .»

« ريكاردو مستعد أن يذهب الى أبعد الحدود لتصديقه، ولكنهما عنيدان.»

ونظرت إيزابيلا الى وجه ليان وهي تسألها اذا كانت تستطيع أن تجد حلاً لهذه المشكلة. وبعد فترة صمت فكرت خلالها ليان في أمر وجدت أنه يستحق التجربة، قالت لايزابيلا :

«هناك حل قد يصلح، ولكنه يتطلب الكثير من الصبر.»

«ما هو؟»

«هل سمعت من قبل عن لايسستراتا؟»

«كلا.»

«كانت سيدة تعيش في العصر اليوناني القديم أصابها الضيق الشديد وهي ترى زوجها يذهب كثيراً للحرب، فاتفقت مع رفيقات لها على حرمان أزواجهن من حقوقهم الزوجية، الى أن كف الأزواج آخر الأمر عن الانصياع لميولهم الحربية.»

فضحكت إيزابيلا وهي تقول لها:

«كنت على حق عندما قلت إن الأمر سيحتاج الى الكثير من الصبير ان كارلوس سينهار.»

« وريكاردو أيضاً.»

ونظرت كل منهما الى الأخرى تغالب الابتسامة ثم قالت إيزابيلا لليان في رقة:

«انت تحبينه فعلاً، أليس كذلك ؟ كانت تساورني الشكوك في هذا أول الأمر، ولكن عندما رأيت مدى لهفتك وأنت تطلبين من كارلوس أن يهبّ لمساعدة ريكاردو المصاب كانت مشاعرك عندئذ أكثر من واضحة ومقنعة.»

«انها قصة طويلة، وقد بدأت بداية سيئة... حسناً، مارأيك في هذا الاقتراح؟»

فقالت لها ايزابيلا في تردد:

«وهل تظنين أن هذه الطريقة ستنجح؟»

«لن نعرف هذا قبل أن نجرب.»

«أنجرؤ على القيام بذلك، وكيف نبلغهما به؟»

«نتفاهم معهما من وراء الأبواب المغلقة، وعلينا أن نشترك معاً في هذا الأمر، ان كنا سنقوم به فعلاً.»

وفكرت ليان في أنهما كلما تراختا في تنفيذ هذه الخطة، كلما أصبح من الصعب تنفيذها، ولهذا اقترحت على إيزابيلا أن نبدأ في التنفيذ الآن وسألتها عن الوقت الذي يعود فيه كارلوس الى البيت فأجابتها بأنه يعود أحياناً لتناول الغداء، وسألتها اذا أبلغت أبوها بالمكان الذي ستذهب اليه فأجابتها بأنها أبلغت أمها وطلبت منها الابقاء على هذا الأمر سراً فقالت لها ليان:

«ولكنها ستضطر الى ابلاغ كارلوس ان لم تعودي، وأعتقد أنه سيحضر الى

هنا. وعندما يأتي ويلتقي بريكاردو فإننا سنتسلل ونتحصن داخل غرفة بها ما يكفينا من الطعام والشراب لمدة يومين.»

«يومان! أتظنين أنّ الأمر سيتطلب كلّ هذه الفترة لكي يتفقا؟»

«أعتقد أن الأمر سيتطلب بعض الوقت لاقناعهما ولم يستطيعا اخراجنا من هنا قبل أن يتفقا. وستحتاج الى التحلّي بقوة الارادة حتى نتمكن من المضي في خطتنا عندما تبدأ في تنفيذها.»

فرفعت إيزابيلا حاجبيها وسألتها:

«ولكن ماذا يحدث لو انهما حطما الباب ان كارلوس سيكون في حالة من الغضب تجعله على استعداد لفعل أي شيء.»

فابتسمت ليان قائلة:

«لا يمكنه أن يفجّر غضبه مع من في مثل حالتك.»

فابتسمت إيزابيلا ابتسامة اضاءت وجهها وقالت:

«وبما أنني في فترة الحمل فلا يمكنني أن أكون مسؤولة عن تصرفاتي فالجميع يعرف أن الحمل يدفع الى نزوات وتصرفات غريبة.»

وأضافت قائلة في جدية:

«ولكنك لست حاملاً، وريكاردو سيضربك.»

«عليه أن يصل اليّ أولاً، وأن تتأكد من اغلاق الباب ويمكن أن نحقق الغرض بوضع كمية من الاثاث أمام الباب.»

«وإذا اتفقا على انهاء نزاعهما، ألن يتملكهما الغضب عندما نخرج اليهما؟»

فردت عليها ليان في ثقة:

«هذا اواجهه عندما يحين وقته»

ونظرت ليان في ساعتها وقالت:

«الساعة الآن الحادية عشرة والنصف وعلينا أن نتحرك فربما رجع ريكاردو مبكراً. سأقوم باعداد بعض الطعام الذي يكوت بارداً مع الاسف الى أن اتمكن من ايجاد موقد سهل الحمل.»

فضحكت إيزابيلا فجأة وقالت:

«يجب أن نأخذ الأمور ببساطة لم أتصور أن تكون لي أخت مثلك على تلك الدرجة من الجرأة.»

وقالت ليان لنفسها انها قد تكون على درجة من الطيش وتملكها احساس غريب. فريكاردو سيدرك عندئذ أنه لم يحقق سيطرته الكاملة عليها بعد، الا أنها وان كانت تحبه لن تدع تلك العاطفة تستبّد بها وتستعبدها.

دهشت العاملات في المطبخ بسبب كمية الطعام الكبيرة التي طلبتها ليان ، ومن حسن الحظ أن إينيز لم ترد شيئاً منها، وطلبت ليان حمل هذا الطعام الى غرفتها السابقة مع كمية من زجاجات الماء، وأصبح لديهما ما يحتاجانه خلال فترة الحصار. وقامتا بتحصين باب الغرفة المغلق بتكويم كمية من الأثاث أمامه. أما باب الشرفة فقد استغرق منهما نصف ساعة لتحصينه. وجلستا تقطعان الوقت في تجاذب أطراف الحديث، وشعرت إيزابيلا بالغيرة من ليان وهي تحدثها عن أصحابها وصديقاتها خلال الفترة التي أمضتها في دار الأيتام. وقالت لليان إنها تمنت أن يتاح لها اللعب مع مجموعة من الأطفال. فقالت لها ليان :

«ولكنك كنت تحضرين الى أرض مندوزا؟»

«نعم كثيراً فقد كان أبي يأخذني معه عندما يذهب للعب الشطرنج مع والد ريكاردو ، ومن الغريب أنهما كانا صديقين رغم الاختلاف الشديد بينهما. وربما كان السنيور مندوزا لا يجد أي متعة مع رجل لا يستجيب للاستفزاز من أي نوع، وقد اعتقد دائماً أن المشاجرات تحدث بين أشخاص لديهم حساسية شديدة لما يتخيّلون أنه اهانات موجهة اليهم.»

فقالت لها ليان :

«هذه فلسفة!»

فضحكت إيزابيلا .

ومضي الوقت بدأ حديثهما يفقد ترابطه، وكانت إيزابيلا مستلقية على السرير وليان جالسة على كرسي وهما تلتزمان الصمت عندما سمعتا أصوات

أناس يتحدثون في الفناء، واستطاعتا تمييز صوت ريكاردو وان لم تتبينا ماذا يقول. وسمعا وقع أقدام في الممر المؤدي الى الغرفة وصوت مقبض الباب يدور، وجاء صوت ريكاردو :

«ليان ، هل أنت في الداخل؟»

ونظرت ليان الى إيزابيلا بدون أن تتحرك من مقعدها وقالت:

«نعم، نحن هنا انا و إيزابيلا»

«افتحي الباب اذاً، وفي الحال!»

«كلا، سنبقى هنا.»

فأخذ يزمجر ويضرب الباب بقبضته وهو يطلب منها فتح الباب ولكنها أبلغته، وقد احمرّت وجنتاها في حين أخذت إيزابيلا تحملق، بأنها لن تفتح الباب وأنهما ستبقيان هنا الى أن تلمسا منه ومن كارلوس سبباً كافياً يقنعهما بالخروج. فرد عليها ريكاردو في ثورة:

«سأقدم لك سبباً كافياً بدون كارلوس للخروج، وأمامك خمس ثوان للخروج قبل أن أقتحم هذا الباب بكتفي.»

وبعد مضي الخمس ثوان بدأ يضرب الباب بقدمه فتصدع ولكنه وهذه معجزة، لم ينفتح، وأخذت ليان تنتظر الهجوم. وبدأ كارلوس ينادي إيزابيلا التي أوشكت أن تلين لولا أن تشجعت عندما نظرت اليها ليان . وردت ليان فطلبت التحدث الى ريكاردو الذي أبلغته بأنها هي وإيزابيلا لن تستأنفا علاقاتها الزوجية المعهودة مع زوجيهما الا اذا اتفق هو وكارلوس على نسيان الماضي والبدء في التصرف كرجال ناضجين.

وتحدثت إيزابيلا فتساءلت كيف يمكنها أن تضع طفلها في بيئة لا يتبادل فيها الأب والعم كلمة طيبة وقالت ، ان ليان كانت على حق عندما وصفتهما بأنهما كالأطفال، وأنها تضيف فتصفهما بأنهما يتعطشان للانتقام. ووضعت يدها على فمها وقد انزعجت مما قالته في حين اتسعت عينا ليان من الدهشة. وعندئذ تحدث كارلوس لايزابيلا قائلاً:

«لم أكن أعلم أنك تكنين مثل هذا الشعور، أرجوك أن تفتحي الباب وتخرجي، وسوف نتحدث أنا وريكاردو وهذا وعد مني لك.»

فابتسمت إيزابيلا ونظرت الى ليان ثم سألت ريكاردو اذا كان يوافق على هذا، فردّ ريكاردو بعد برهة بأنه وكارلوس سوف يتحدثان سوياً وعندئذ أبعدت ليان قطع الأثاث عن الباب وفتحته فسارع كارلوس بدخول الغرفة ليطمئن على زوجته حين قام ريكاردو بجذب ليان وحملها على الدخول الى الغرفة التي كان هو نفسه يشغلها من قبل وسألها:

«لماذا فعلت هذا، لقد كانت تلك فكرتك أليس كذلك ؟»

فبللت ليان شفتيها وهي تحس بجفاف في حلقها وقالت:

«نعم، كانت فكرتي، وقد اقنعت إيزابيلا بهذا. هل كنت جاداً عندما وافقت على مناقشة كارلوس في أمر نزاعكما؟»

«لم يكن أمامي أي خيار آخر، ولم يكن أمام أحد منا أي خيار. إيزابيلا ليست في حالة تسمح باثارتها على النحو الذي حدث. وسوف أعاقبك لهذا السبب وحده!»

فهزت كتفيها باستخفاف قائلة:

هيا ، افعل ما تشاء ان كان هذا يجلب لك الراحة. فسوف أتحمل العقاب كفتاة ناضجة.»

فرد عليها والشرر يتطاير من عينيه وقال:

«بل كامرأة ناضجة!»

فردت عليه في تبرم:

«ارجوك أن تكف عن هذا. كانت فكرتي خاطئة اذاً. ولن تتفقا أنت وكارلوس ، وكان عليّ أن أدرك ان الوقت فات وان من المتعذر تحقيق هذا.»

فقال لها في هدوء واتزان شديدين:

«وما الذي يهمك من هذا الأمر، ما الذي يعنيك لو أصبحت أنا وكارلوس أصدقاء أو أعداء؟ هل كان هذا سيغير من العلاقة القائمة بيننا؟ وهل كان يجعلك تنظرين اليّ نظرة مختلفة، لديّ زوجة فلماذا أحتاج الى أخ؟ انك

ان ما شعرت به نحو إيزابيلا كان شيئاً لطيفاً وطيباً وكان يمكنه أن يؤدي الى الزواج أما ما أشعر به نحوك...»

وأطرق هنيهة عندما لمس ازدياد بريق عينيها والدفء الذي يشع منها وأضاف:

«ان ما أشعر به نحوك يختلف اختلاف العاصفة عن السكون. انك تغضبينني وتجعلينني كالبحر الهائج وتثيرين حواسي ومشاعري ورغم كل هذا فإنني ما زلت أريدك كما لم أرد من قبل امرأة أخرى في حياتي وما زلت أحبك بجنون على أمل أن يأتي اليوم الذي تبادلينني فيه العاطفة نفسها.»

وحرك يديه من وجهها الى كتفيها وضمها وهو يشعر بأن هذا الأمل قد تحقق في حين وضعت ليان ذراعيها فوق عنقه... ثم سألته:

«متى عرفت أنك تحبني؟»

«وكيف لي أن أعرف؟»

«وضد ارادتك؟»

«ربما، فارادتي تعرّضت لقدر كبير من التوتر خلال الأسابيع الأخيرة.»

«لم يكن هذا ملحوظاً... ومنذ لحظات قليلة كنت غاية في اليأس والتعاسة. أما الآن...»

فقاطعها وهو يبتسم ابتسامة لم تشهدها على ثغره من قبل، فهي ابتسامة صافية مجردة من تعبيرات التهكم والسخرية التي كانت ترتسم على شفتيه من قبل وسألها:

«والآن بماذا تشعرين يا حبيبتي؟»

«أشعر بالسعادة!»

جاء وقت كنت أتوق فيه بشدة الى نزع مخالبك الحادة الصغيرة وانني سعيد الآن لأنني وجدت ذلك امراً بالغ الصعوبة، فلولا روحك التي لا تقهر لافتقرت الى حياة التنوع، لقد جعلتني أقف دائماً على أطراف أصابعي.»

«هذا لا يشعرني بالراحة ابداً.»

تعطينني كل ما يحتاج اليه الرجل في حياته، ان لدينا أنا وأنت الكثير، وسيكون لدينا أكثر عندما تنجبين لي ابناً. ألست راضية عن نصيبك في الحياة؟»

فردت عليه وقد رفعت رأسها وقالت بلا انفعال:

«كلا، لست راضية، وهل تظن أن هذا هو كل المطلوب لبناء الزواج، أم تعتقد أن الانسجام الجسماني وحده يكفي؟ حسناً، قد يكون هذا هو رأيك لكن انا لي افكاري ايضاً!»

وأضافت قائلة وقد تملكتها الرغبة في تجريحه كما قام هو بتجريحها:

«سألتني منذ مدة اذا كنت أحسد إيزابيلا للعناية التي تحظى بها من رجل مثل كارلوس ، وطلبت منك عندئذ ألا تكون مضحكاً وكنت على حق في أن تغضب حينئذ لأنك لم تبد حتى ذلك الوقت مضحكاً بالمرة، انني فعلاً كنت أحسد إيزابيلا عندئذ وما زلت أحسدها الآن لأن لديها رجلاً يعرف ما هو الحب. وسوف أحدثك عما يعني الحب بالنسبة اليك، لو أنك تزوجت من إيزابيلا لما عرفت هي معنى السعادة التي تتمتع بها الآن لأنك لا تعرف كيف تحب! أنت بارد الحس وأناني ولا قلب لك... ابتعد عني واتركني وحدي!»

فقال لها في رقة وهو يلمس وجهها بيديه ويرفعه وينظر اليها نظرات حركت قلبها:

«ليان ، يا إلهي، ليان! هل تريدين أن تقولي لي انك تريدين حبي كما أريد حبك؟ هل هذا هو الهدف من كل ذلك؟»

كان الصمت يخيّم في أرجاء المنزل أثناء فترة بعد الظهر يأخذ فيها الناس اغفاءة، وكان صوت ضربات قلبها هو الصوت الوحيد الذي تسمعه بوضوح. وهمست ليان قائلة:

«لقد أبلغتني منذ أسبوع مضى أنك أحببت إيزابيلا .»

«نعم، عرفتها وأحببتها منذ كنت طفلاً، ومن الطبيعي أنني رحبت بفكرة الزواج منها يوماً ما، ولم أبدأ في ادراك وجود أنواع أخرى من الحب إلا بعد أن أخذها كارلوس مني واضطرني الى البحث عن وسيلة للاحتفاظ بأرض مندوزا .

فقال لها وعيناه تشعان ببريق مليء بالمودة:

«أستطيع أن أحقق لك الراحة. وما أحتاجه هو أنت بالصورة التي أنت عليها أيتها المتمردة الانكليزية. لدينا الكثير نتداركه. كأن أحتضنك بين ذراعي وأنا أعلم أن قلبك مفعم بالحب.»

فردت عليه بشعور صادق:

«انني أشاركك هذه الرغبة ولا تتصور كيف أتوق اليك. ولكننا لا نستطيع تحقيق رغبتنا الآن. فكيف لنا أن نترك إيزابيلا و كارلوس في وقت كهذا؟»

«لقد نسيتها، ونسيت كل شيء عدانا.»

وجذبها اليه وعانقه. ثم تركها في تباطؤ وأسف واضح وقال لها:

«ان ما فعلته انت وإيزابيلا بعد ظهر اليوم يستحق اللوم ولكنه قد يستحق التقدير أيضاً كنتما على حق فيما ذكرتماه عنا أننا نميل الى الانتقام ونتصرف كالأطفال. فقد ظللت أنا وكارلوس نجد متعتنا في كراهية كل منا الآخر. ولن يكون من السهل على أي منا أن يمد يد الصداقة. ولكنني أعتقد أنه يجب علينا أن نحاول ذلك من أجلك أنت وإيزابيلا.»

«وهل ستحاولان الآن؟»

«خير البرّ عاجله. ولكن عندما نصبح وحدنا بعد ذلك. فإنني سأحب زوجتي. لدينا ابن سوف ننجبه... أرجنتيني جديد. وآمل أن تكون له عينان مثل عيني أمه.»